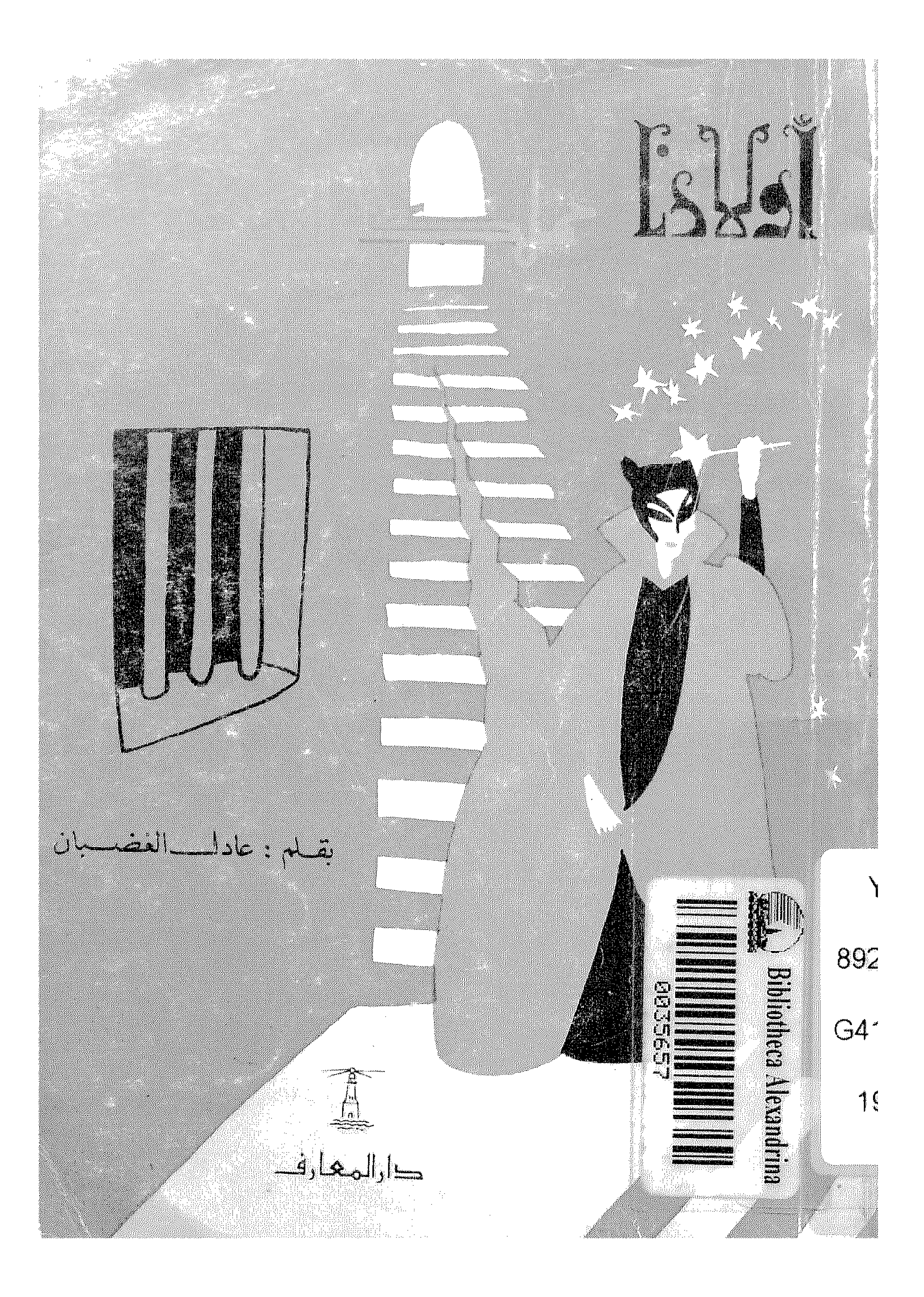

بقلم : عادل الغضبان
دار المعارف
Bibliotheca Alexandrina
0035657
892
G41

مَمْلَكَةُ ٱلسِّحْرِ

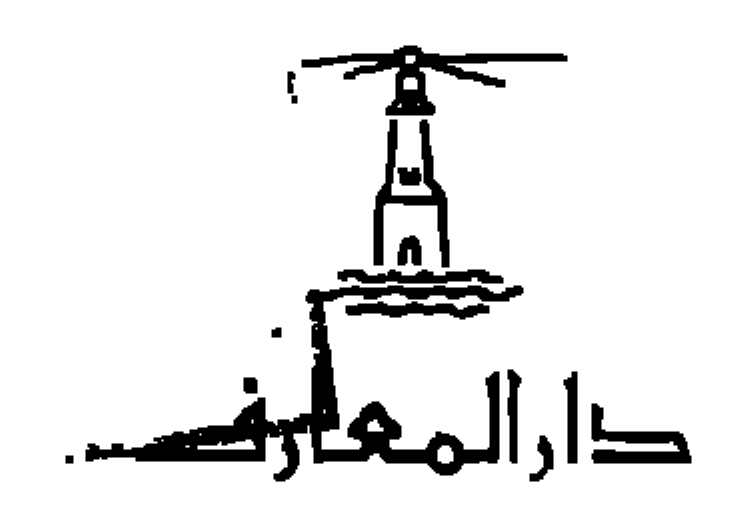
أولادنا

٢

مَمْلَكَةُ السِّحْر

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة السابعة



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

هذه القصص

مؤلف هذه القصص ، كاتب من كتّاب فرنسا المشهورين ، هو شرل پرّو « Charles Perrault » .

ولد بباريس سنة ١٦٢٨ ، وتوفى بها سنة ١٧٠٣ ، أى أنه عاش فى عصر لويس الرابع عشر ، وهو عصر ازدهرت فيه الآداب الفرنسية ، بعد عصر الانبعاث ، أيما ازدهار ، وبلغت فيه المدرسة الاتباعية أوْجَهَا الأعلى.

ونشأ شرل پرّو هذا ، وفى نفسه ثورة على القديم الذى قدّسه بعض المحدثين ، فكان له بعد ذلك ، مواقف ومؤلفات ، فضّل فيها الأدباء المحدثين على الأدباء الأقدمين ، فتألب عليه الخصوم ، وكانت تلك المفاضلة ، أول شرارة فى النزاع بين أنصار هؤلاء وأولئك .

وفى أخريات أيامه ، ألّف عدداً من القصص لقيت رواجاً عظيماً ، بحيث أصبح اسم پرّو ، على مدى الزمن ، لا يجرى على لسان ، ولا يتردد فى خاطر ، إلا انصرف الذهن إلى هذه القصص التى نالت شهرة طائرة فى جميع أنحاء العالم ، وتأدّب عليها كل من تعلم الفرنسية ، من ناشئة الفرنسيين وسواهم .

سلخت هذه القصص ٢٥٠ عاماً ، ولا تزال فى روعتها وجدّتها :

متعة للنشء، بما اشتملت عليه من ضروب الخيال ، وغريب الحوادث ، وعناصر التشويق ؛ كما أنها لا تزال جلوة سحر للأدباء ، بما يتلألأ فيها من صور النفس وسمو الفكر وسلامة الأداء .

ومنذ صدور هذه القصص إلى اليوم ، ودور الطباعة والنشر ، لا تفتأ تخرج منها الآلاف المؤلفة ، فى طبعات شعبية أو طبعات فاخرة ، وتنشرها مجموعة حيناً ، ومتفرقة أحياناً ، كما أن الرسامين لم يألوا جهداً فى أن يبتكروا لهذه القصص رسوماً جميلة ، تختلف فنوناً وطرائق ، باختلاف قرائح أولئك الرسامين وعصورهم .

ولقد دفعتنا قيمة هذه القصص ، ومكانتها من آداب أهلها ، إلى أن ننقل معظمها إلى لغتنا نقلا أميناً وفيًّا ، جاهدين أن تكون فى أسلوبها العربى ، صورة صادقة من أصلها الفرنسى .

المترجم





الجنِّيَّات

كانت مرة أرملة لها ابنتان : ابنة كبيرة تشبهها فى بشاعة وجهها وسوء أخلاقها ، حتّى كان من يراها كأنه يرى أمها ، وابنة صغيرة هى صورة أبيها فى الوداعة وكرم الأخلاق ، وكانت إلى ذلك من أجمل الفتيات .
وكانت الأم وابنتها الكبيرة ، متكبرتين ، مكروهتين ، لا يطيق أحد العيش معهما . ولما كان الإنسان يميل بطبعه إلى من يشابهه ، فقد كانت الأم تحب ابنتها الكبيرة حبًّا عظيماً ، وتكره ابنتها الصغيرة كرهاً شديداً . فتشغلها كثيراً ، وتلزمها أن تأكل فى المطبخ .

وكان مما فرضته الأم على هذه الابنة الصغيرة ، أن تذهب مرتين فى

اليوم ، تستقى الماء من مكان بعيد، وتملأ منه جرّة كبيرة . فبينما كانت فى يوم من الأيام عند النبع ، جاءت إليها امرأة مسكينة ، وطلبت منها أن تسقيها فقالت الابنة :

— « على الرأس والعين يا خالتى » .

وللحال شطفت جرّتها ، وملأتها بالماء من أحسن مكان من النبع ، وقدمتها إلى المرأة العجوز وهى تسند الجرة بيديها ، حتى تسهّل عليها الشرب . فلما شربت وارتوت قالت لها :

— « إنك يا ابنتى ، فتاة جميلة كريمة نبيلة ، فلا يسعنى إلا أن أخصّك بهدية ، (وكانت هذه المرأة جنية قد تزيّت بزى امرأة مسكينة ، لترى إلى أىّ حدّ من المعروف تصل إليه هذه الفتاة) فهديتى إليك هى أنك كلما فتحت فمك للكلام ، خرجت منه زهرة أو جوهرة » . ولما رجعت الابنة إلى البيت ، وبخّتها أمها على تأخرها فقالت لها :

— « أطلب منك المعذرة يا أمى على تأخرى » .

وما كادت تنطق بهذه الجملة ، حتى خرج من فمها وردتان ولؤلؤتان وألماستان كبيرتان ، فقالت أمها مدهوشة :

— « ماذا أرى ؟ إن فمها يقذف لآلئ وألماساً ! من أين لك هذا يا ابنتى ؟ » .

وكانت هذه هى المرة الأولى التى تناديها فيها بقولها : « يا ابنتى »،



فقصّت عليها الفتاة فى سلامة قلب وبساطة ، ما جرى لها ، فكانت وهى تتكلم ، تقذف من فمها مجموعة كبيرة من الجواهر . فقالت الأم فرحانة : « يجب أن أرسل ابنتى إلى النبع » ، ثم نادت ابنتها الكبيرة قائلة :

— « تعالى يا حبيبتى "سوسو" ، وانظرى ما يخرج من فم أختك عند ما تتكلم . ألا يسرّك أن تحصلى على مثل هذه الهبة ؟ فما عليك إلا أن تذهبى إلى النبع لتستقى ، فإذا طلبت منك امرأة مسكينة أن تشرب ، فاسقيها بكرم وسخاء » .

فقالت الفتاة الشرسة :

— حقًّا . لم يبق على إلا أن أذهب إلى النبع لأستقى الماء ! » .

فقالت لها أمها :

— « أريد أن تذهبى إلى النبع ، وأن تذهبى إليه فى الحال ! » .

فذهبت الفتاة الشرسة إلى النبع متبرّمة متذمّرة ، وأخذت معها إناء من الفضة كان أجمل آنية المنزل ، وما كادت تصل إلى النبع ، حتى انحدرت إليها من الغابة سيدة فاخرة الثياب ، وطلبت منها أن تسقيها (وكانت نفس تلك الجنية التى ظهرت لأختها ، ولكنها تزيّت فى هذه المرة بزى أميرة ، لترى إلى أى حد يصل سوء أخلاق هذه الفتاة) .

فقالت لها الفتاة الشرسة المتكبرة :

— « أتظنيننى جئت إلى هنا لأسقيك ؟ ! وبهذا الإناء من الفضة !

اشربى بيديك إذا شئت » .

فقالت لها الجنية دون أن تغضب :

— « لست كريمة النفس أيتها الفتاة ، وبما أنك لا تحبين المعروف والإحسان ، فسأربطك بسحر يجعلك كلما فتحت فلك للكلام ، خرج منه ثعبان أو ضفدع سام » .

عادت الفتاة إلى البيت ، فما كادت أمها تلمحها مقبلة ، حتى صاحت قائلة :

— « هيا يا ابنتى حدثينى بأمرك » .

فوصلت الفتاة الشرسة وقالت :

— « بماذا أحدثك يا أمى ؟ » .

وقذفت من فمها حيتين وضفدعين سامين فصاحت أمها :

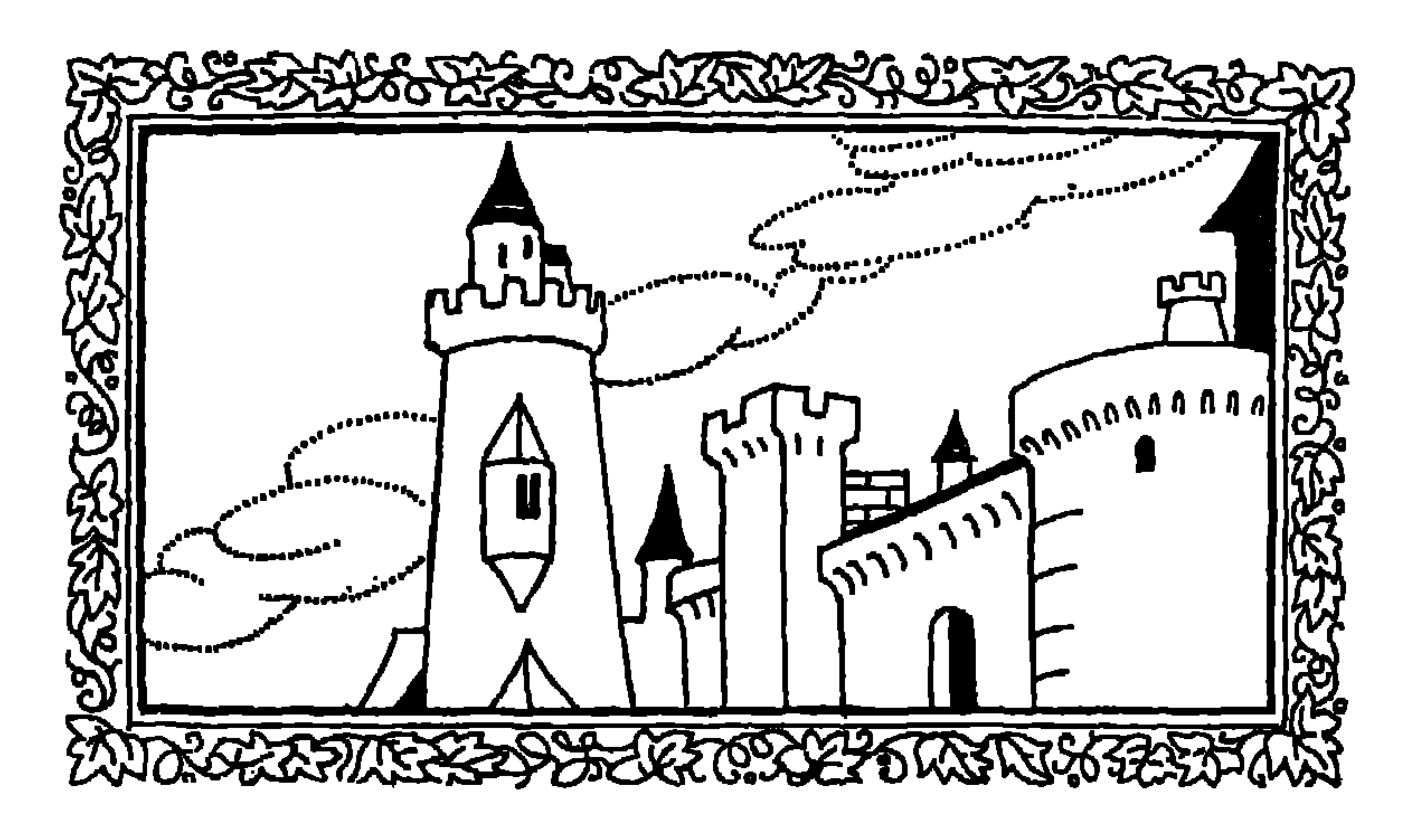
— « أعوذ بالله ! ماذا أرى ؟ إن أختك لا شك هى السبب ، ولكنها ستدفع الثمن غالياً ! » .

قالت هذا وجرت إلى الفتاة المسكينة لتضربها ، فهربت منها إلى غابة قريبة . وكان ابن الملك راجعاً من الصيد ، فلقيها فى طريقه . ولما رآها جميلة جداً ، سألها ماذا تفعل وحدها فى هذه الغابة ؟ ولماذا تبكى ؟ فقالت له آسفة :

— « إن أمى يا سيدى هى التى طردتنى من المنزل » .

ولما رأى ابن الملك أن فمها يخرج لآلئ وألماساً ، سألها عن سر هذا الأمر العجيب ، فحكت له حكايتها مع المرأة العجوز ، فأحبها ابن الملك وقال فى نفسه : إن قدرة هذه الفتاة على لفظ الجواهر ، خير من أنفس هدية تقدم فى الزواج ، فأخذها معه إلى قصر أبيه الملك ، ثم تزوجها .

أما أختها فقد كرهها الناس ، حتى إن أمها نفسها طردتها من البيت . فظلت تقرع جميع الأبواب ، رجاء أن يقبلها أحد عنده ، إلى أن ماتت فى ركن غابة من الغابات .



اللحية الزرقاء

كان مرة رجل يملك فى المدينة والريف منازل جميلة ، وآنية من الذهب والفضة ، ورياشاً مطرّزة ، وعربات مذهّبة ، غير أنه كان لسوء حظه ، ذا لحية زرقاء ، تجعله بشعاً مخيفاً ، تهرب من وجهه كل امرأة وفتاة . وكانت إحدى جاراته ، سيدة كريمة لها ابنتان ، كل واحدة منهما أجمل من الثانية ، فطلب منها أن يتزوج إحدى ابنتيها ، تاركاً لها اختيار من تريد منهما . ولكن الابنتين رفضتا هذا الزواج ، وحولت كل منهما الرجل إلى أختها ، كارهة أن تتزوج رجلا ذا لحية زرقاء . ومما نفّرهما منه أيضاً ، أنه كان قد تزوج نساء كثيرات ، ولا يعلم أحد من أمرهن شيئاً . وأراد صاحب اللحية الزرقاء أن يتعارف هو وجيرانه . فدعا الفتاتين

وأمهما ، وثلاث فتيات من أعز صاحباتهما ، ونفراً من الجيران الشبان ، إلى منزل من منازله فى الريف ، فقضى فيه المدعوون ثمانية أيام كاملة ، فى نُزَه . وقنص الحيوان. وصيد السمك، ورقص وولائم، فما كانوا ينامون ، بل كانوا يقضون الليل فى لهو ولعب ودعابة ، واستمرّوا على مثل هذه الحال الطيبة حتى بدأت الفتاة الصغرى ترى أن لحية رب المنزل ليست شديدة الزرقة ، وأنه رجل كريم نبيل ، فلما عاد القوم إلى المدينة ، زُفّت الفتاة إليه .

وبعد شهر من زواجهما ، قال ذو اللحية الزرقاء لزوجته إن مسألة مهمة تضطره إلى أن يقضى فى الأقاليم ستة أسابيع على الأقل ، فرجا منها أن ترفّه عن نفسها فى غيابه ، وأن تدعو صاحباتها وترحل معهن إلى الريف إذا شاءت ، وأن تمتّع نفسها ، حيثما كانت ، بكل شىء لذيذ من المأكل والمشرب ، ثم قال لها :

— « هذه هى مفاتيح مخازن الرياش والأثاث ، وهذه هى مفاتيح آنية الذهب ، ومفاتيح خزائنى حيث ذهبى وفضتى ، ومفاتيح علب اللآلئ والجواهر ، وهذا مفتاح عام يفتح به جميع منازلى ، أما هذا المفتاح الصغير ، فهو مفتاح مكتبى فى نهاية الرّواق من المنزل الأسفل ، فافتحى ما شئت ، واذهبى حيثما أردت ، ولكن إياك أن تدخلى مكتبى الصغير هذا ، فإذا حدثتك نفسك أن تفتحيه ، فتوقعى كل شىء من غضبى » .

فوعدته أن تكون عند أمره ونهيه . فقبلها ثم ركب عربته وسافر .

ولم تنتظر الجارات والصاحبات أن يتلقين الدعوة : بل سارعن إلى زيارة العروس ، متشوقات إلى رؤية ما فى منزلها من فاخر الرياش ، لأنهن لم يكن يجسرن على المجىء إلا فى غيبة الزوج ، خوفاً من لحيته الزرقاء ، فما هو إلا أن يصلن إلى المنزل ، حتى يطفن بالحجر والغرف وأصونة الملابس . وكل منها أجمل من الأخرى ، ويصعدن فى مخازن الرياش ، ويتعجبن من وفرة ما فيها وجمال ما فيها من الستائر والأسرّة ، والأرائك والمكاتب ، والمناضد المستديرة والمربعة والمستطيلة ، والمرايا التى تعكس صورة الإنسان من الرأس إلى القدم ، يحيط بكل واحدة منها إطار من الفضة أو من الذهب لم تقع أعينهن على أجمل منه ولا أفخر ، فكن يصحن صيحات الإعجاب والمغالاة ، ويغبطن صاحبتهن على سعادتها . وكانت هى منصرفة الذهن عن هذا الغنى ، تفكر بذاهب الصبر فى ذلك المكتب الذى تريد أن تفتحه .

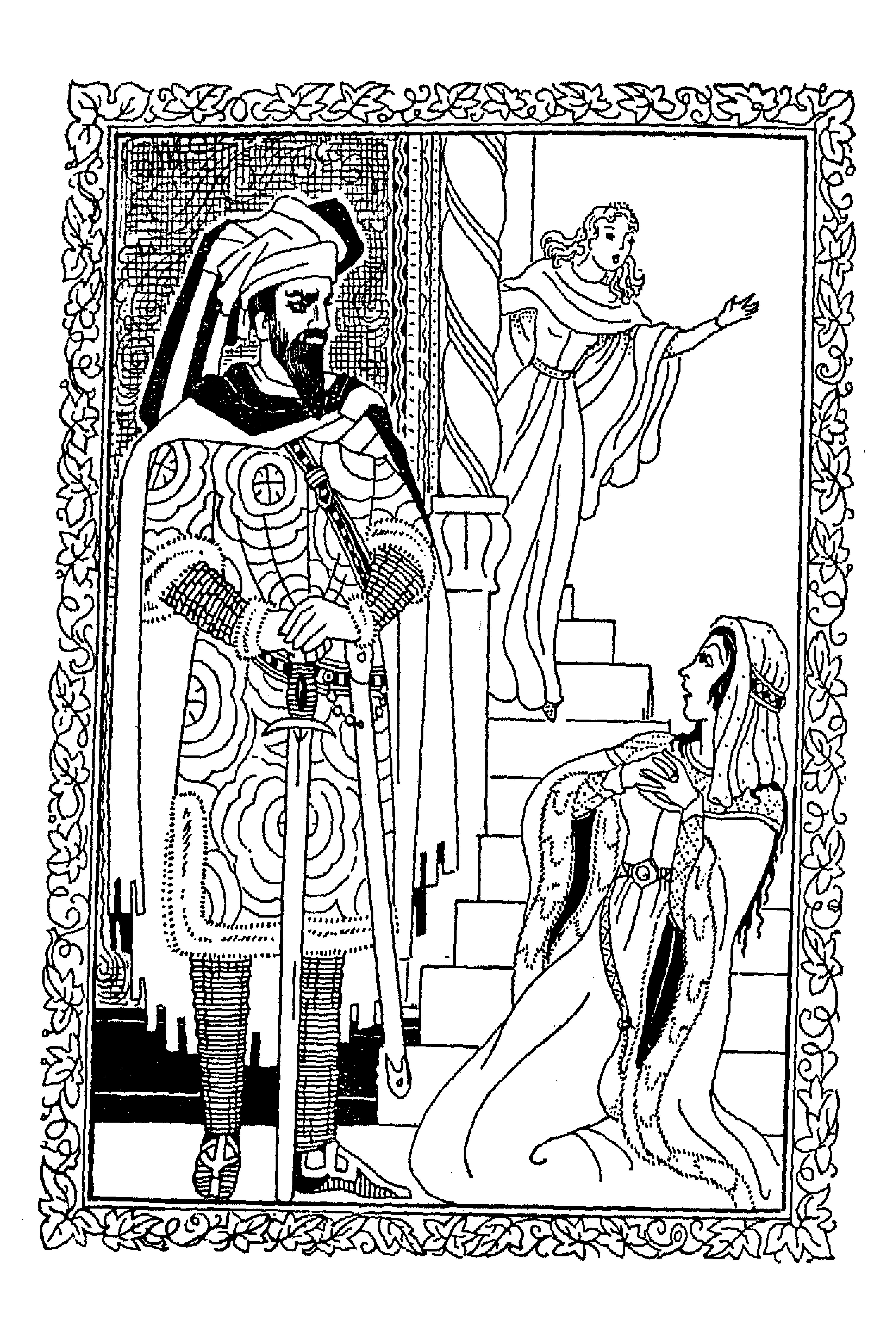
ولقد بلغ منها الفضول والشوق إلى فتحه ، حداً أنساها أنه ليس من اللياقة أن تترك صديقاتها وحدهن ، فنزلت مستعجلة جداً فى سلم خفى ، حتى كادت تقع مرتين أو ثلاث مرات ويُدَقّ عنقها . ولما وصلت إلى باب المكتب ، وقفت قليلا ، وتذكرت تحذير زوجها ، وما قد يجلبه عليها

عصيانُها أمرَه من الشر والبلاء، ولكن دوافع الإغراء والفضول ، كانت أكبر من أن تستطيع التغلب عليها، فأخذت المفتاح الصغير ، وفتحت به باب المكتب وهى ترتعد . فلم ترَ فى أول الأمر شيئاً ، لأن النوافذ كانت مقفلة ، ولكنها بعد لحظات قليلة ، بدأت ترى أرض المكتب مغطاة بدم متجمد ، تتراءى فيه أجسام عدة نساء ميتات رُبطن إلى حيطان المكتب ، وكنّ النساء اللواتى تزوّجن صاحب اللحية الزرقاء، وذُبحن واحدةً بعد أخرى ، فكادت تموت من الرعب ، حتّى سقط من يدها المفتاح الذى كانت قد انتزعته من القفل .

ولما عاد إليها رشدها ، التقطت المفتاح ، وأغلقت الباب ، وصعدت فى غرفتها لتستجمع قواها ، ولكنها كانت شديدة الاضطراب ، فلم تعرف إلى الهدوء سبيلا .

ورأت مفتاح المكتب ملطخاً بالدم ، فمسحته مراراً ، غير أن الدم بقى عالقاً به، فغسلته بل فركته بالرمل، وحكّته بالحجر فلم يُمْحَ منه الدم ، لأن المفتاح كان صورة من صور الجن ، فلا سبيل إلى تنظيفه ، فكان الدم إذا أزيل من ناحية منه ، عاد من ناحية أخرى .

رجع ذو اللحية الزرقاء من السفر ، فى مساء اليوم نفسه ، وقال إنه تلقى ، وهو فى الطريق ، رسائل تخبره بأن المسألة التى سافر من أجلها قد تمت كما يشتهى . أما زوجته ، فقد بذلت كل ما تستطيع ، لكى تبرهن



له أنها مسرورة كل السرور بعودته العاجلة .

وفى اليوم التالى طلب منها المفاتيح ، فقدمتها إليه بيد مضطربة ، ففهم دون عناء كل ما حدث وقال لها :

— « لماذا لا أرى مفتاح المكتب مع المفاتيح الأخرى ؟ » .

فقالت :

— « لا شك أنى تركته على المنضدة فى غرفتى العليا » .

فقال لها :

— « لا تنسى أن تعطينى إياه بعد قليل » .

وظلت المسكينة ترجئ إحضار المفتاح مرة بعد مرة ، حتى اضطرت فى آخر الأمر أن تأتيه به ، فلما فحصه قال لزوجته :

— « لماذا أرى هذا المفتاح ملوثاً بالدم ؟ » .

فقالت المسكينة وقد علت وجهها صفرة الموت :

— « لست أدرى » .

فقال لها :

— « أنت لا تدرين ؟ ولكننى أنا أدرى ! إنك أردت أن تدخلى فى المكتب . إذن سوف تدخلينه يا سيدتى ، وسوف تحتلين مكانك إلى جانب هؤلاء السيدات اللواتى رأيتهن فيه » .

فارتمت على قدمى زوجها تبكى وتستغفره ، نادمة تائبة على عصيانها

أمره، وكانت بجمالها وحزنها جديرة بأن يرقّ لها الصخر، ولكنّ ذو اللحية الزرقاء كان قلبه أقسى من الصخر فقال لها :

— « يجب أن تموتى .... وفى الحال » .

فقالت له وعيناها مغرورقتان بالدموع .

— « إن كان لا بد من الموت فأمهلنى حتّى أصلى لله » .

فقال لها :

— « أمهلك بضع دقائق لا غير .... » .

ولمّا خلت بنفسها نادت أختها وقالت لها :

— « أرجو منك يا أختى أن تصعدى فى أعلى البرج ، وتنظرى هل أخواى قادمان، فقد وعدانى بمجيئهما اليوم إلىّ ، فإذا رأيتهما فأشيرى إليهما أن يسرعا » .

صعدت أختها فى أعلى البرج ، وكانت تسمع تلك المسكينة تناديها من وقت إلى آخر قائلة :

— « أختى ! يا أختى الحبيبة ! ألا ترين أحداً قادماً ؟ » .

فتجيبها أختها قائلة :

— « لا أرى إلا نور الشمس الأغبر والعشب الأخضر ! » .

وكان ذو اللحية الزرقاء يصيح بأعلى صوته ، وهو ممسك بيده سكيناً كبيرة :

ـــ « انزلى فى الحال أو صعدت إليك » .

فتقول له :

ـــ « اسمح لى من فضلك بهنيهة أخرى » .

ثم تنادى أختها بصوت منخفض قائلة :

ـــ « أختى ! يا أختى الحبيبة ! ألا ترين أحداً قادماً ؟ » .

فتجيبها أختها قائلة :

ـــ « لا أرى إلا نور الشمس الأغبر والعشب الأخضر ! » .

فيصيح ذو اللحية الزرقاء :

ـــ « انزلى فى الحال أو صعدت إليك » .

فتقول له :

ـــ « إنى آتية إليك » .

وتصيح فى أختها :

ـــ « أختى ! يا أختى الحبيبة ! ألا ترين أحداً قادماً ؟ » .

فقالت لها أختها فى هذه المرة :

ـــ « أرى غباراً شديداً مقبلا من هذه الناحية . . . »

ـــ « هل هما أخواى ؟ » .

ـــ « كلا وا أسفاه ! إنه قطيع من الخرفان » .

فصاح ذو اللحية الزرقاء :

— « ألا تريدين أن تنزلى ؟ » .

فقالت له زوجته :

— « أمهلنى هنيهة أخرى » .

والتفتت إلى أختها ونادتها قائلة :

— « أختى ! يا أختى الحبيبة ! ألا ترين أحداً قادماً ؟ » .

— « أرى فارسين مقبلين من هذه الناحية ، ولكنهما لا يزالان بعيدين ... (وبعد هنيهة صاحت متهللة) : الحمدلله . إنهما أخوانا ... إنى أشير إليهما ما استطعت أن يسرعا » .

وكان ذو اللحية الزرقاء ، قد أخذ يصرخ صراخاً عالياً اهتزت له جوانب البيت ، فنزلت المسكينة إليه ، وارتمت عند قدميه ، باكية متحبة منفوشة الشعر فقال لها :

— « كل هذا لا يفيدك . يجب أن تموتى » .

ثم قبض على ناصية شعرها بيده اليسرى ، ورفع بالأخرى السكين ، وهمّ بضرب عنقها ، فالتفتت إليه المسكينة ، ونظرت إليه بعينين ظللهما الموت ، وطلبت منه أن يمهلها هنيهة قصيرة ، تقضيها فى الابتهال والخشوع فقال لها :

— « كلا ! كلا ! استودعى الله نفسك » .

ورفع ذراعه . . . وفى هذه اللحظة قُرِع الباب قرعاً عنيفاً ، فتوقف ذو اللحية الزرقاء مبهوتاً ، ثم فتح الباب ودخل منه فارسان شاهران السيف ،

فهجما على ذى اللحية الزرقاء . . .

وعرف ذو اللحية الزرقاء أنهما أخوا زوجته ، أحدهما من الجند الراكب ، والثانى من فرسان الحرس ، فهرب منهما لينجوَ بنفسه ، ولكن الأخوين لحقا به فى الحال ، وقبضا عليه قبل أن يخطوَ إلى عتبة الباب وأغمد كل منهما سيفه فى جسمه ، فمات لساعته . وكانت أختهما المسكينة ، أقرب إلى الأموات منها إلى الأحياء ، فما كانت لتقوى على النهوض حتى تقبِّل أخويها .

واتفق أن لم يكن لذى اللحية الزرقاء ورثة ، فاستولت زوجته على كل ثروته ، واستخدمت جانباً منها فى تزويج أختها بشاب نبيل ، كان يحبها منذ زمن طويل ، وجانباً آخر فى تحسين حال أخويها ، واستعملت الباقى فى زواجها برجل شريف ، أنساها أيام الشدّة التى قضتها مع صاحبُ اللحية الزرقاء .



الحسناء النائمة فى الغابة

كان مرة ملك وملكة لم يُرزقا أولاداً، وكانا فى حزن شديد لا يوصف، فما تركا من مكان مبارك إلا زاراه، ولا من نذور وحجّ إلا قاما به، ولكن كان كل ذلك دون جدوى. ثم اتفق أن حبلت الملكة وولدت ابنة، فاحتفل القوم « بعمادها » احتفالا جميلا، وكانت « عرّابات » الأميرة الصغيرة جميع جنيات البلد، وكنّ سبعَ جنيّات، فأهدت كل واحدة منهن إلى الأميرة هدية من السحر، جرياً على عادة الجنيات فى ذلك العهد، لتبلغ بها الأميرة أرفع ما يُتوهَّم من درجات الكمال.

وبعد حفلة « العماد » عاد الناس إلى قصر الملك، حيث أُدّب للجنيات

مأدُبة كبيرة، فقد وُضع أمام كل واحدة منهن صحن بديع ، وكيس مصنوع من الذهب ، فيه معلقة وشوكة وسكين من الذهب الخالص ، المطعم بالألماس والياقوت. وبينما كان المدعوون يجلسون إلى المائدة، دخلت جنية عجوز لم تُدْعَ إلى المأدبة، لأنها ظلت، أكثر من خمسين عاماً ، معتصمة بأحد الأبراج لا تخرج منه ، فظُنّ أنها قد ماتت.أو سحرت ، فأمر الملك أن يُفسح لها فى مكان إلى المائدة، ولكن لم يكن من الميسور أن تعطى ، كما أعطِيَ غيرُها ، كيساً من الذهب ، فقد كانت الأكياس على عدد الجنيات السبع ، فحسبت العجوز ذلك احتقاراً لها ، فغمغمت بين أسنانها بكلمات كلها تهديد، فسمعتها جنية فتية كانت إلى جانبها، ولما رأت أن العجوز قد تربط الأميرة بسحر كريه ، اغتنمت فرصة النهوض عن المائدة، وذهبت تختبئ وراء ستارة من الستائر ، حتى تكون آخر من يتكلم من الجنيات ،لعلها تستطيع أن تعوّض الشر الذى قد تفعله العجوز ، وبدأت الجنيات يهبن الأميرة هداياهن ، فوهبتها الصغرى أن تكون أجمل مخلوق على الأرض ، والثانية أن يكون لها ذكاء ملاك ، والثالثة أن تكون أعمالها كيّسة ظريفة، والرابعة أن تجيد الرقص ، والخامسة أن تغنى مثل البلابل ، والسادسة أن تعزف على كل آلة أجمل عزف، ولما جاءت نوبة العجوز ،قالت وهى تهزّ رأسها من الغيظ أكثر من هِزَّة الشيخوخة : أن يخرق يد الأميرة مغزل يكون السبب فى موتها .

فاضطرب الحاضرون لهذا السحر ، ولم يبقَ فيهم أحد إلا بكى ، وعندئذ خرجت الجنية الفتية من وراء الستارة ، وقالت بصوت عال هذه الكلمات : « ليطمئن بالكما أيها الملك والملكة . إن ابنتكما لن تموت من المغزل . صحيح أنْ ليس لى من السلطان ، ما أستطيع به أن أنقض ما صنعته عجوز الجنيات ، فالأميرة سيخرق يدها مغزل ، ولكن لن تموت ، بل تغرق فى سبات عميق مدة مئة عام ، ثم يأتى ابن ملك فيوقظها » .

وحاول الملك أن يدفع ذلك الشر الذى أنذرتهم به العجوز ، فأصدر مرسوماً يحرم فيه على كل إنسان ، أن يغزل أو أن يحوى مغزلا فى بيته ، ومن خالف أمره كان جزاؤه الموت .

وبعد نحو خمسة عشر عاماً ، ذهب الملك والملكة إلى الريف للنزهة والمتعة ، فاتفق للأميرة الصغيرة أنها بينما كانت تجرى يوماً فى القصر ، وترقى صعداً من غرفة إلى غرفة ، وصلت إلى كوخ فى برج القصر ، ورأت فيه امرأة عجوزاً تغزل بمغزلها ، ولم تكن هذه العجوز قد سمعت بتحريم الملك للمغازل ، فقالت لها الأميرة :

— « ماذا تصنعين هنا يا خالة ؟ » .

فقالت العجوز وما كانت تعرفها :

— « إنى أغزل يا ابنتى الجميلة » .

فقالت الأميرة :

— « آه ، ما أجمل هذا العمل ! كيف تصنعين ؟ أعطيني المغزل لأرى هل أستطيع أن أصنع مثلك » .

وما كادت تأخذ المغزل حتى كان طيشها وحركتها ، وكذلك أمر الجن فيها ، سبباً فى أن تُخرَق يدها وتقع مغشياً عليها .

فاضطربت العجوز اضطراباً شديداً ، وأخذت تنادى وتستغيث ، فسارع إليها من كل جهة وجانب كل من سمع استغاثتها ، فرشّوا وجه الأميرة بالماء ، وكشفوا عن عنقها ، وضربوا على يديها ، وفركوا صدغيها بالماء المعطر ، ومع ذلك لم تصحُ ولم تستفق .

وسمع الملك الضجة فطار إليها ، وتذكر عندئذ نبوءة الجنيات ، واعتقد أنه لم يكن هناك مفرّ من وقوع هذا الحادث ، ما دامت الجنية كانت قد تنبأت به . فوضع الأميرة فى أجمل غرفة من القصر ، على سرير مرصّع بالذهب والفضة ، وكانت الأميرة من شدة جمالها ، يخيّل إلى من يراها أنها ملاك نائم ، لأن إغماءتها لم تذهب برونق وجهها الجميل ، فخدّاها ما زالا ورديين ، وشفتاها بلون المرجان ، غير أن عينيها كانتا مغمضتين ، ولكنها كانت تتنفس تنفساً بطيئاً مما يدل على أنها لم تمت .

وأمر الملك أن يتركوها تنام نوماً هادئاً ، حتى تحين ساعة استيقاظها . أما الجنية التى أنقذت حياتها ، وحكمت عليها أن تنام مئة سنة ، فقد كانت عند وقوع هذا الحادث للأميرة ، تعيش فى مملكة أخرى تبعد



من هذا المكان اثنى عشر ألف فرسخ ، فعلمت بالخبر سريعاً ، من قزم عنده حذاء السبعة الفراسخ (وهو حذاء يستطيع لابسه أن يقطع سبعة فراسخ فى قفزة واحدة) فرحلت فى الحال إلى الأميرة ، وشوهدت بعد مضى ساعة، وهى قادمة فى عربة من نار يجرها تنينان، فتقدم الملك منها ، ومد لها يده لتعتمد عليها فى النزول من العربة ، ووافقت هى على كل ما صنع الملك ، وكانت هذه الجنية ذكية بصيرة الفؤاد فقالت فى نفسها إن الأميرة عند ما تستيقظ ، ستكون فى حيرة إذ ترى نفسها وحيدة فى هذا القصر الكبير ، فاليكم ما صنعت : لمست بعصاها السحرية كل من كان فى القصر : (ما عدا الملك والملكة) من خادمات ، ووصائف ، وفتيان ، وضباط ، وخدم ، وطباخين ومساعديهم ، وسعاة ، وحرس سويسرى وغلمان، ولمست كذلك فى الأسطبل الأحصنة وسواسها ، والكلاب التى تحرس الدجاج ، و «فلة» الصغيرة كلبة الأميرة ، وكانت بالقرب منها فوق سريرها . وما كادت تلمسهم جميعاً حتى ناموا كلهم ، فلن يستيقظوا إلا مع سيدتهم الأميرة ، ليكونوا فى خدمتها إذا احتاجت إليهم ، حتى السفود الممتلىء بالحجلان والديكة، نام هو والنار تحته ، حدث كل هذا فى طرفة عين . لأن الجنيات سريعات فى أعمالهن .

وبعد ما قبل الملك والملكة ابنتهما الحبيبة دون أن تصحو، خرجا من القصر ، وأذاعا فى الرعية منشوراً يحرم على أى كان أن يقترب منه ، ولم

تكن هناك ضرورة لهذا المنع ، فني ربع ساعة نبت حول حديقة القصر أشجار صغيرة وكبيرة ، وأشواك متشابك بعضها ببعض ، لن يستطيع المرور منها حيوان ولا إنسان ، فلم يكن يرى فى القصر إلا أبراجه ، ولا ترى إلا من بعيد جدًّا ، وما من شك فى أن الجنية قامت بمهمتها خير قيام ، حتى لا تسمح للمتطفلين أن يعكروا صفو رقاد الأميرة .

وبعد مئة عام خرج إلى الصيد فى هذه الناحية ابن الملك ، وكان من غير أسرة الأميرة النائمة ، فسأل : ما هذه الأبراج التى يراها فوق غابة كثيفة ، فكان كل واحد يجيبه حسبما انتهى إلى سمعه : ففريق قال إنه قصر قديم تسكنه الأرواح الشريرة ، وفريق آخر زعم أنه مجتمع سحرة البلد ، يقضون فيه يوم العطلة . على أن الرأى الشائع ، كان أن هذا القصر ، بيت غول يخطف الأطفال ، ويأتى بهم إليه ليأكلهم فى هدوء واطمئنان ، وما من أحد كان يستطيع اللحاق به ، فقد كانت له وحدة القدرة على المرور من خلال هذه الغابة الكثيفة .

وتحير الأمير ولم يدرِ أى الروايات يصدق ، حتى تناول الكلام فلاح عجوز فقال :

— « أيها الأمير ، سمعت من والدى منذ أكثر من خمسين سنة ، أن فى هذا القصر أميرة لم تقع العين على أجمل منها ، وأنه لا بد لها أن تنام فيه مئة سنة ، حتى يوقظها ابن ملك فتكون من نصيبه » .

فاتقد قلب الأمير الشاب عند سماعه هذا الخطاب، ولم يتردد فى أن يضع حداً لهذه المغامرة الجميلة ، وصمم أن يستجلى الأمر فى الحال ، يدفعه الحب والمجد إلى ذلك . فما كاد يتقدم نحو الغابة ، حتى فسحت الأشجار والأشواك له الطريق ، فمشى إلى القصر الذى بدا له فى آخر الممشى ودخله، ولكنه دهش لما لم يجد أحداً من أتباعه قد لحق به ، وذلك لأنه ما كاد يمر بين الأشجار ، حتى عادت إلى حالها الأولى واقترب بعضها من بعض. فاستمر فى طريقه لأن كل أمير شاب محب يكون شجاعاً ، واجتاز ساحة كبيرة رأى فيها ما يجمد له الإنسان خوفاً ورعباً : سكوت مخيف ترقص فيه صورة الموت . وأجسام متمددة من بشر وحيوان ، يلوح أنها ميتة ، والتفت إلى الحرس السويسرى فرأى أنوفهم الحمر ، ووجوههم الوردية . فعرف أنهم نائمون ليس إلا . . . وأقداحهم التى لا يزال فيها بعض قطرات الخمر ، دلته على أنهم ناموا وهم يشربونها .

ومر بعد ذلك بساحة مبلطة بالرخام، وصعد فى سلم أوصله إلى قاعة الحرس ، فرآهم مصطفين والبنادق على أكتافهم، وهم يغطون فى النوم . واجتاز غرفاً كثيرة ملأى بالفتيان والنساء، وكلهم نائمون : بعضهم واقف ، وبعضهم جالس. ودخل فى حجرة مذهبة ، فرأى على سرير أزيحت عنه الستائر من كل جانب، أجمل منظر رآه فى حياته : أميرة فى الخامسة عشرة أو فى السادسة عشرة من عمرها ، مشرقة الطلعة ، يتألق من وجهها نور سماوى، فتقدم منها وهو يضطرب مدهوشاً من هذا الجمال ، وركع عندها .

ولما كانت نهاية السحر قد حانت ، استيقظت الأميرة ونظرت إليه بعينين ملؤهما الحنان ، مع أنها النظرة الأولى وقالت :

ـ « أأنت هو يا أميرى ؟ لقد جعلتنى أنتظرك طويلا » .

فأعجب الأمير بهذا الكلام ، ولا سيما بنبل الإلقاء ، فلم يعرف كيف يعبّر لها عن فرحه وشكره ، وأكّد لها أنه يحبها فوق نفسه، وكان كلامه غير مرتّب ، يتضمن قليلا من الفصاحة وكثيراً من الحب ، فزادها به إعجاباً ، وكان هو أكثر اضطراباً منها ، ولا عجب فى ذلك ، فقد كان لديها متسع من الوقت لتفكر فيما تقول له ، ويبدو (والتاريخ لا يقول شيئاً من هذا) أن الجنية الطيبة ، قد وفرت لها فى رقادها الطويل أحلاماً لذيذة ، ثم مرّ عليهما أربع ساعات وهما يتحدثان ، ومع ذلك لم يقل أحدهما للآخر إلا نصف ما عنده من كلام .

واستيقظ القصر كله مع استيقاظ الأميرة ، وفكر كل واحد أن يقوم بعمله ، ولما لم يكونوا كلهم مشغولين بالحب ، فقد كادوا يموتون جوعاً ، فتقدمت وصيفة الشرف ، وكانت كغيرها قد نفد صبرها من شدة الجوع ، وقالت للأميرة بصوت عال : « إن الطعام وضع على المائدة » فساعد الأمير الأميرة على النهوض ، فإذا هى فى أبهى حلة ، غير أنه احترس من أن يقول لها : « إن ملابسها بياقتها العالية تشبه ملابس جدته » ، ولكن لم ينقص هذا من جمالها .

فذهبا إلى حجرة المرايا وتعشيا هناك ، وقام على خدمتهما خدم الأميرة ، وعزفت آلات الطرب من كمان وناى ، قطعاً قديمة جميلة قد انقطع الناس عن عزفها منذ أكثر من مئة عام . وبعد العشاء أسرع كاهن القصر فى تزويجهما ، وأوصلتهما وصيفة الشرف إلى حجرة النوم فناما قليلا ، لأن الأميرة لم تكن فى حاجة شديدة إلى النوم ، وعند ما طلع الصباح ، غادر الأمير القصر وعاد إلى المدينة ، وهو لا يشك فى أن أباه قد قلق لغيابه .

ولما اجتمع الأمير بأبيه الملك قال له : « إنه خرج للصيد وتاه فى الغابة ، فنام فى كوخ فحام أطعمه خبزاً أسود وجبناً » ، وكان الملك طيب القلب فصدقه ، ولكن أمه لم تقتنع بهذا الكلام ، ثم إنها لما رأت ابنها يذهب كل يوم إلى الصيد ، ولا يضيق عن الاعتذار كلما نام خارج القصر ، أيقنت أن فى الأمر مغامرة حب وغرام ، وكان ابنها قد عاش سنتين مع الأميرة ورزق منها بولدين : فتاة اسمها « فجر » وصبى اسمه « نهار » لأنه كاد يفوق أخته جمالا . وكثيراً ما عمدت الملكة ، رغبة منها فى حمل ابنها على الكلام ، إلى أن تقول له : « إن الإنسان يجب أن يلهو فى الحياة » فما جسر أن يطلعها على سره ، فقد كان يحبها ويخافها ، لأنها كانت من فصيلة الأغوال ، ولم يتزوجها الملك إلا لثروتها . وكان رجال القصر يهمسون بأن لها ميل الأغوال ، وأنها إذا رأت الأطفال ، عانت عناء شديداً فى ضبط نفسها دون الانقضاض عليهم ، لذلك لم يرغب الأمير

قط أن يكشف لها سره .

وبعد مضيّ سنتين ، مات الملك ورأى الأمير نفسه السيد المطلق ، فأعلن زواجه ، وذهب فى احتفال عظيم يطلب زوجته الملكة من قصرها ، فعادت معه إلى العاصمة . واستقبلت فيها استقبالا فخماً ، ودخلتها بين صفّين من رجال البلاط .

وذهب الملك بعد زمن قليل إلى محاربة جاره إمبراطور الواق واق ، فأقام أمه وصية على عرشه ، وأوصاها كثيراً بزوجته وولديه . فقد كان مضطرًّا أن يقضى الصيف كله فى الحرب . فما كاد يرحل حتى أرادت أمه أن تشفى غليلها من الحقد الدفين ، فأمرت أن تؤخذ زوجته والولدان إلى منزل فى الغابات ، وبعد أيام قليلة ذهبت إلى ذلك المنزل ، وقالت ذات مساء لرئيس الخدم :

— « أريد أن آكل " فجراً " الصغيرة غداً عندما أتناول طعام الغداء » . فصاح رئيس الخدم مدهوشاً :

— « ماذا » .

فقالت بلهجة غول يشتهى أكل اللحم الطرىّ :

— « نعم أريدها طعاماً لغدائى ، وأريد أن آكلها بالخل والثوم » .

ولما رأى المسكين أن ليس من الحكمة التعرض لغضب الأغوال ، أخذ سكينه الكبيرة . وصعد إلى غرفة « فجر » الصغيرة ، وكان لها من العمر

حينذاك أربع سنوات ، فأقبلت عليه وهى تقفز وتضحك . وارتمت على عنقه وطلبت منه أن يعطيها قليلا من الملبس، فبكى الرجل ووقعت السكين من يده ، وذهب إلى حظيرة المواشى ، وذبح حملا صغيراً وطبخه بالخل والثوم ، حتى إن سيدته قالت له : « إنها لم تأكل قط فى حياتها طعاماً لذيذاً كهذا » . وكان هو قد حمل « فجراً » الصغيرة ومضى بها إلى زوجته ، وطلب منها أن تخبئها فى مسكنها وراء حظيرة المواشى .

وانقضت ثمانية أيام وإذا بتلك المرأة المتوحشة تقول لرئيس الخدم :

– « أريد أن آكل " نهاراً " الصغير عند ما أتناول طعام العشاء » .

فلم يجبها رئيس الخدم، وصمم أن يخدعها كما خدعها فى المرة السابقة، وذهب يبحث عن « نهار » الصغير ، فوجده وفى يده سيف صغير لا حدّ له يقاتل به قرداً كبيراً ، ولم يكن له من العمر إلا ثلاث سنوات ، فحمله إلى زوجته فخبأته مع أخته « فجر » واستغنى عنه بجدى صغير وجدته المرأة المتوحشة شهيًّا لذيذاً .

وسارت الأمور على هذه الحال ، إلى أن قالت المرأة المتوحشة ذات مساء لرئيس الخدم :

– « أريد أن آكل الملكة فاطبخها لى بنفس المرقة التى طبخت بها ولديها » .

وفى هذه المرة يئس رئيس الخدم من أن تجوز الحيلة عليها أيضاً ،

فالملكة الشابة كانت قد جاوزت العشرين ، فضلا عن المئة السنة التى نامتها ، وبشرتها كانت قد قست قليلا ، ولو أنها جميلة بيضاء ، فمن الصعب عليه أن يجد فى الحظيرة حيواناً قاسى اللحم ، فعزم على أن ينقذ نفسه ويذبح الملكة ، فصعد إلى غرفتها وفى نيته ألا يتردد فى تنفيذ ما أمر به ، فهاج من الغضب ودخل غرفة الملكة والخنجر فى يده ، ولكنه مع ذلك لم يشأ أن يفاجئها بل أخبرها ، فى أدب واحترام ، بالأمر الذى تلقاه من الملكة الوالدة ، فقالت له وقد مدت له عنقها :

— « هيا . هيا . نفذ الأمر الذى تلقيته ، فأجتمع بولدىّ ... ولدىّ الحبيبين » .

وكانت تظنهما ميتين منذ أن خطفا ، فقال لها رئيس الخدم والشفقة بادية على وجهه :

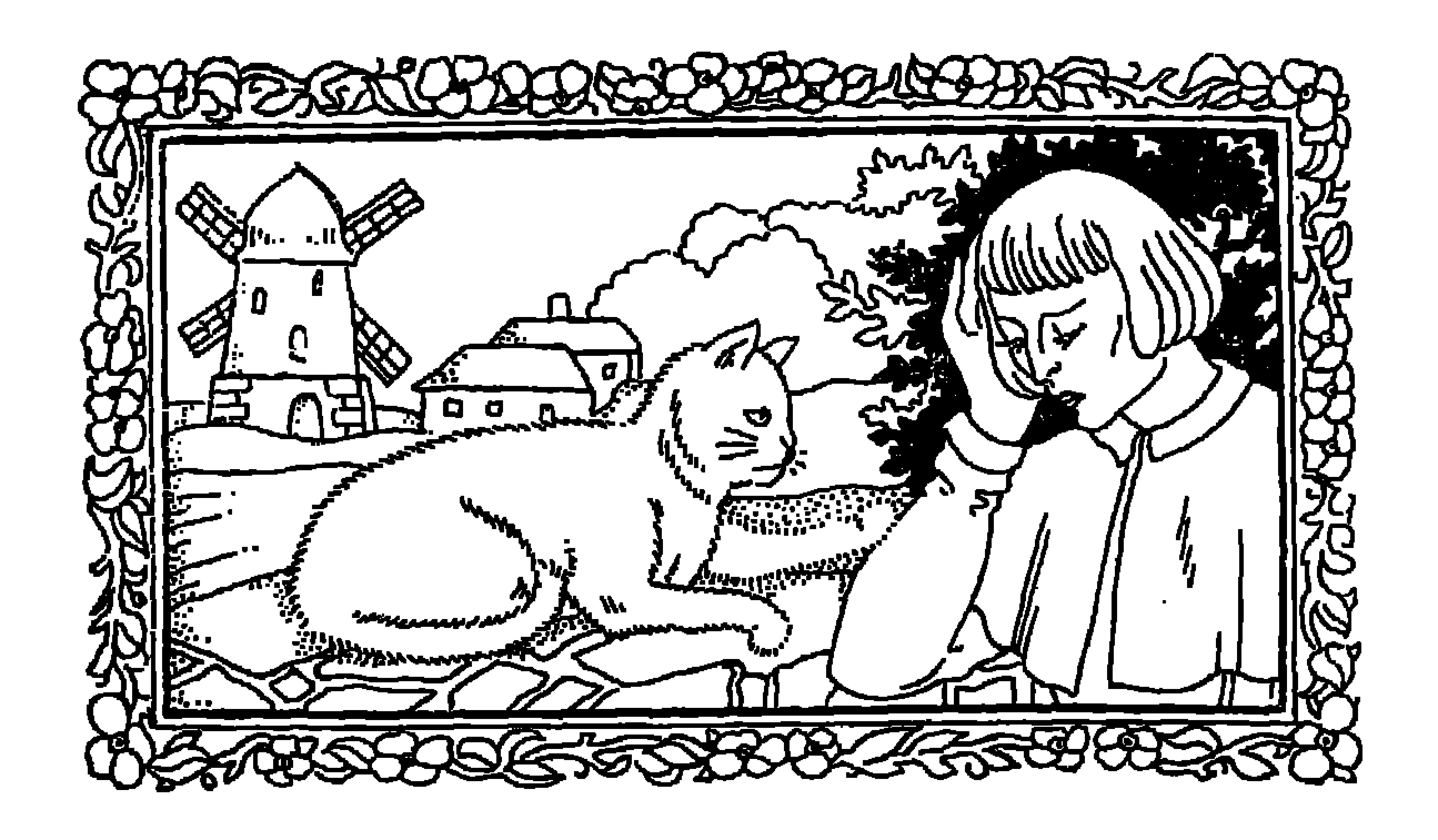
— « لا ! لا يا سيدتى ! لن تموتى ولن أتركك تذهبين إلى لقاء ولديك فى عالم الأموات ، بل تلقينهما فى منزلى حيث خبأتهما ، وسأخدع الملكة الوالدة مرة أخرى ، وأقدم لها بدلا منك وعلا تأكله » .

ثم قادها فى الحال إلى منزله ، وتركها وهى تقبل ولديها وتبكى معهما ، ومضى إلى وعل فذبحه وطبخه وقدمه إلى الملكة المتوحشة ، فأكلته بشهوة ولذة ، كما لو كانت تأكل الملكة الشابة . وكانت مسرورة من وحشيتها ، وعازمة على أن تقول للملك عند عودته : « إن الذئاب الهائجة قد أكلت

زوجته وولديه » .

وبينما هى ذات مساء تطوف كعادتها حول ساحات القصر وحظائره ، لعلها تشم رائحة اللحم الطرىّ ، سمعت بكاء « نهار » الصغير ، ينبعث من غرفة بعيدة ، وكانت أمه قد أرادت أن تضربه لسوء سلوكه ، ثم سمعت صوت أخته « فجر » تطلب من أمها أن تعفو عن أخيها ، فعرفت المرأة المتوحشة صوت الملكة وولديها ، وعلمت أنها خُدِعت ، فتملكها الغضب ، ولما طلع الصباح ، أمرت بصوت مخيف ارتعب منه كل من سمعه ، أن يُؤتى بزير كبير ويوضع فى وسط ساحة القصر ، ويملأ بالضفادع السامة والحيات والثعابين ، وترمى فيه الملكة الشابه وولداها ورئيس الخدم وزوجته وخادمته ، وأصدرت أمرها أن يؤتى بهم جميعاً مكتوفى الأيدى وراء ظهورهم .

جىء بهم ، واستعد الجلادون لرمى هؤلاء المساكين فى الزير ، وإذا بالملك وقد عاد من الحرب فى سرعة خاطفة ، يصل فجأة على غير انتظار ، ويدخل ساحة القصر راكباً جواده ، ويسأل متعجباً عن معنى هذا المشهد الفظيع ، فلم يجسر أحد أن يطلعه على جلية الأمر ، وكانت أمه قد انبغتت من قدومه المفاجئ ، وهاج هياجها ، فرمت نفسها فى الزير فالتهمتها الوحوش فى طرفة عين . وحزن الملك عليها لأنها أمه ، ولكنه تعزّى عنها بعد قليل ، بزوجته الحسناء وولديه الجميلين .



القط لابس الحذاء

مات طحان ولم يترك لأولاده الثلاثة إلا طاحونة وحماراً وقطاً ، فقسم الأولاد التركة بينهم ، ولم يستعينوا بأحد على ذلك ، وإلا ضاعت التركة المسكينة . فكانت الطاحونة من نصيب البكر ، وكان الحمار من نصيب الابن الثاني ، وكان القط من نصيب الابن الأصغر .

وكان الابن الأصغر غير راض عن نصيبه الحقير فقد كان يقول :

– « إن أخوىّ يمكنهما أن يكسبا رزقهما إذا اشتركا في العمل ، أما أنا فإذا أكلت قطي ، واتخذت من جلده فروة ، قضى على أن أموت بعد ذلك جوعاً » .

وكان القط قد سمع حديثه ، ولكنه تجاهله وقال له فى رزانة وجدّ :

— « لا تحزن يا سيدى . فما عليك إلا أن تعطينى كيساً ، وتشترى لى حذاء أستطيع به أن أدخل فى الأدغال ، وسترى أن نصيبك لم يكن من الحقارة بحيث تظن » .

ولم يكترث صاحب القط لكلامه ، غير أنه رأى منه كثيراً من الحيل والحركات فى اصطياد الجرذان والفيران : فكان مرة يوهم الناظر إليه أنه مشنوق من رجليه ، ومرة يتماوت ليختبئ فى الطحين ، فلم ييأس صاحبه من مساعدته فى محنته .

ولما نال القط ما أراد ، لبس الحذاء ووضع الكيس فوق رقبته ، وأمسك الرباط بيديه وذهب إلى وكر للأرانب ، وكان قد وضع فى الكيس نخالة وحبوباً ، وارتمى كأنه ميت ، وانتظر أن يأتيه أرنب غرّ يجهل حيل هذا العالم فيأكل مما فى الكيس .

وما كاد يستلقى حتى ظفر ببغيته ، فقد دخل فى الكيس أرنب صغير طائش ، فشدّ صاحبنا القط عليه الرباط ، ثم أخذه وقتله بلا رحمة ولا شفقة . وانتفخ مفتخراً بفريسته ، ومضى إلى الملك وطلب أن يحظى بمقابلته ، فصعدوا إلى جناح الملك ، فدخل وحيّا وقال :

— « مولاى صاحب الجلالة . هوذا أرنب أمرنى سيدى المركيز دى كاراباس ، (هذا هو الأسم الذى حلا للقط أن يطلقه على سيده) أن

أقدمه إلى جلالتكم من قبله ، وأن ألتمس من جلالتكم التفضل بقبوله » .

فقال الملك :

ــ « قل لسيدك إنى أشكره ، وإنى مسرور من هديته » .

وفى مرة أخرى ذهب القط يختبئ فى حقل من القمح . وقد فتح فم الكيس ، فدخلت فيه حجلتان ، فشدّ الرباط وأمسك بهما ، وتوجّه ليقدمهما إلى الملك ، كما فعل بالأرنب ، فقبلهما الملك مسروراً ومنحه هبة جميلة .

وظل القط مدة شهرين أو ثلاثة أشهر ، يقدم إلى الملك بين حين وآخر من صيد سيده ، فعلم يوماً أن الملك يزمع التنزّه على شاطئ النهر مع ابنته ، وكانت أجمل أميرات العالم فقال لسيده :

ــ « إذا أردت أن تسمع نصيحتى ، وثقت من الغنى والسعادة ، فما عليك إلا أن تستحم فى الموضع الذى أعينه لك من النهر ، وعلىّ أنا البقيّة» .

فانصاع المركيز دى كاراباس لنصيحة قطه : دون أن يرى فى الأمر فائدة مرجوة ، وبينما كان يستحم ، مرّ الملك ، فأخذ القط يصيح بملء صوته :

ــ « المعونة . المعونة . المركيز دى كاراباس يغرق ! » .

سمع الملك الصياح فأطل من نافذه العربة ، فشاهد القط الذى طالما أتاه بأحاسن الصيد ، فعرفه وأمر حرسه بأن يسارعوا إلى إنقاذ المركيز

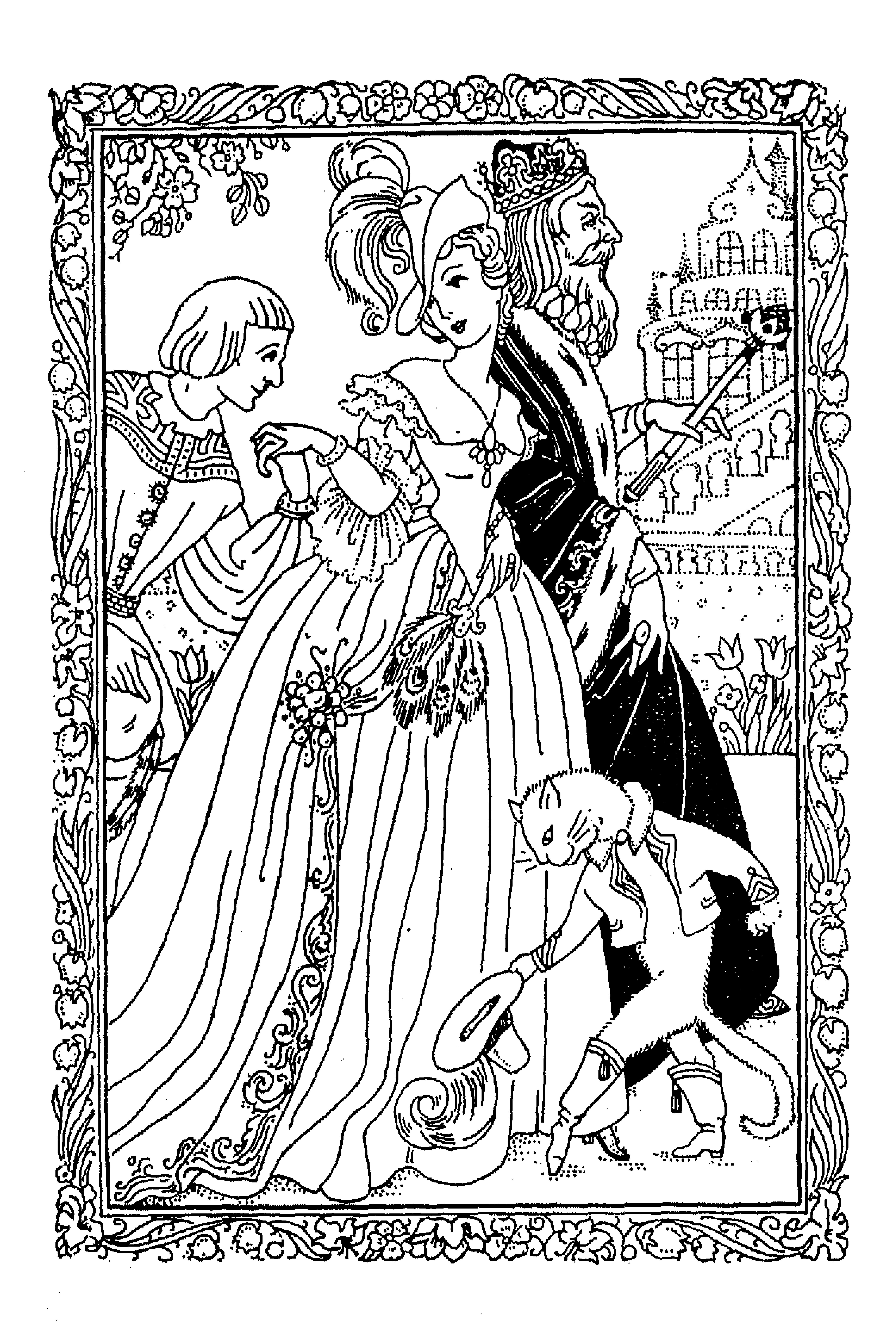
دى كاراباس .

وبينما كان الحرس يجدّون فى انتشال المركيز دى كاراباس من النهر ، كان القط قد اقترب من العربة الملكية وقال للملك : « إن لصوصاً قد سرقوا ثياب سيده وهو يستحم ، وذهبوا بها ، فاستغاث وصاح بملء صوته : اللص ! أمسكوا اللص ، ولكن لم يسمعه أحد » . وكان القط الخبيث قد أخفاها تحت حجر كبير ، فأصدر الملك أمره إلى ضابط ملابسه ، أن يأتوا بحلة من أفخر حلله ، ويقدموها للمركيز دى كاراباس .

وتلطف الملك مع المركيز دى كاراباس ، ورفعت الحلة الجديدة من شأنه وهيئته ، (لأنه كان جميل الوجه والقامة) فأعجبت به ابنة الملك ، ونظر إليها المركيز نظرات ملؤها الاحترام والحنان ، فهامت بحبه حبًّا شديداً ثم دعاه الملك إلى الركوب فى عربته والتنزه معه ، ورأى القط وهو فرحان طروب ، أن خطته قد بدأت تنجح ، فترك المواكب وجدّ فى الجرى ، فلقى بعض الفلاحين يجزّون العشب فى مرج من المروج فقال لهم :

— « يا ناس ! يا أصحاب الهمة ! إذا لم تقولوا للملك إن المرج الذى تجزّون عشبه ، هو للمركيز دى كاراباس ، فسوف تقطعون كاللحم المفروم » .

وسأل الملك هؤلاء الفلاحين لمن المرج الذى يجزون عشبه ؟ فقالوا بصوت واحد وقد خافوا من تهديد القط :



— « للمركيز دى كاراباس » .

فقال الملك للمركيز :

— « إنه إرث جميل » .

فقال المركيز :

— « إنه يا مولاى ، مرج خصيب جداً ، يغلّ كل سنة محصولا وافراً » .

وسبق القط الموكب فلقى نفراً يحصدون فقال لهم :

— « يا ناس ! يا أصحاب الحصاد ! إذا لم تقولوا إن هذا القمح كله ملك المركيز دى كاراباس ، فسوف تقطعون كاللحم المفروم » .

ومر الملك بهم بعد قليل ، وأراد أن يعرف لمن كل هذا القمح الذى يراه ، فقالوا جميعاً :

— « إنه للمركيز دى كاراباس » .

فاغتبط الملك ، وهنأ المركيز على غناه ، واستمر القط يسبق الموكب الملكى ويوصى من يراهم بالوصية نفسها ، حتى تعجب الملك من الأملاك الواسعة التى يمتلكها المركيزدى كاراباس .

ووصل صاحبنا القط فى خاتمة مطافه ، إلى قصر جميل يمتلكه غول من الأغوال . وكان من الغنى على جانب عظيم ، فكل ما مر به الملك من مزارع وأطيان ، كانت تابعة لهذا القصر ، فعنى القط بالبحث عن

هذا الغول وعن شأنه ، وطلب مقابلته مدعياً أنه لم يشأ أن يمر بقصره ، دون التشرف بأن يقدم إليه واجب الاحترام .

واستقبله الغول بأحسن ما يستطيع غول أن يستقبل به ضيفاً ، وقدم إليه مقعداً فجلس فيه وقال :

ــ « قيل لى إن لك القدرة على أن تنقلب إلى أى حيوان شئت : إلى أسد مثلا أو فيل . . . » .

فقال الغول فى صوت غليظ :

ــ « هذا صحيح ! ولكى أبرهن لك على صحة ما سمعت ، فسترانى أسداً » .

وارتعب القط لما رأى أسداً أمامه ، فتسلق المزاريب فى جهد وعناء ، معرضاً نفسه للخطر ، لأن الحذاء لم يكن يساعده على المشى فوق سطوح المنازل المغطاة بالقرميد .

ولما رأى القط بعد قليل ، أن الغول عاد إلى شكله الأول ، نزل إليه واعترف له بأنه خاف وارتعب ثم قال له :

ــ « أكد لى الناس أيضاً ، ولكنى أشك فى ذلك ، أن لك قدرة على أن تستحيل إلى أى شكل شئت من صغار الحيوان : إلى جرذ مثلا ، أو فأرة . . . . ولا أخفى عنك أنى أجد ذلك مستحيلا »

فقال الغول :

— مستحيل ! ؟ إذن سوف ترى » .

فانقلب إلى فأرة أخذت تجرى فى أرض الغرفة ، ولم يكد القط يلمحها حتى هجم عليها وأكلها .

وكان الملك قد رأى هذا القصر فى طريقه ، فأراد أن يزوره . وكان القط قد سمع صوت مركبة الملك وهى تمر فوق الجسر ، فجرى إلى الملك وقال له :

— « أهلا وسهلا بمولاى الملك ! إن قصر المركيز دى كاراباس ليتشرف باستقبال جلالتكم » .

فصاح الملك :

— « وهذا القصر أيضاً يا حضرة المركيز ؟ ما أجمل هذه الساحة وهذه المبانى التى تحيط به ! هيا نزره يا مركيز » .

فتقدم المركيز من الأميرة الشابة ، وقدم إليها ذراعه لتتأبطها ، ولحقا بالملك الذى كان أول الصاعدين . فدخلوا جميعاً فى قاعة كبيرة فإذا أمامهم مائدة حافلة بأطايب الطعام ، كان الغول قد أعدها لأصحاب له سيزورونه فى هذا اليوم ، ولكنهم لم يجسروا على الدخول ، لما علموا أن الملك فى القصر . وأعجب الملك بكياسة المركيز وأدبه ، وأحبته الأميرة حبًّا جمًّا .

وبعد أن أكل الملك وشرب ودهش من جاه المركيز وغناه قال له :

— « يسرنى ياحضرة المركيز كل السرور أن تكون صهرى إذا شئت » !

ففرح المركيز لهذا الشرف الرفيع الذى أسبغه عليه الملك ، وامتثل لأمره بأدب واحترام ، فعقد له على الأميرة فى اليوم نفسه ، وأصبح القط بعد ذلك سيداً عظيماً ، ولم يعد يجرى وراء الفئران إلا عند ما يريد أن يلهو ويتسلى .





بنت الرماد

أو

فردة الحذاء الزجاجى

كان فتى نبيل متزوجاً للمرة الثانية ، بامرأة على جانب كبير من الترفع والكبرياء ، وكان لهذه المرأة ابنتان تشبهانها فى أخلاقها وصورتها ، وكان للزوج من زوجته الأولى ، ابنة دمثة الأخلاق ، طيبة القلب ، ورثت هذه الفضائل عن أمها التى كانت أحسن امرأة على وجه الأرض .

وما هى إلا أيام قليلة بعد الزواج ، حتى كشفت المرأة عن سوء أخلاقها ، فقد غاظها من بنت زوجها حسن صفاتها ، مما جعل ابنتيها

مكروهتين ، فكانت تكلفها أشقّ الخدمات فى المنزل ، فتأمرها بأن تغسل الصحون ودرج السلم ، وأن تنظف غرفتها وغرفة ابنتيها ، وأن تنام على حصيرة ممزقة ، فى غرفة مهملة بأعلى المنزل ، فى حين تنام كل من أختيها على سرير من أحدث طراز ، فى غرفة مفروشة بالخشب الفاخر ، وملأى بالمرايا ، تتمرأى أمامها من رأسها إلى القدم ، وكانت المسكينة تتحمل كل ذلك بصبر ، ولا تجرؤ على أن تشكو أمرها لأبيها ، لأنه سوف يوبخها ، فقد كانت زوجته متسلطة عليه كل التسلط .

وكانت هذه الفتاة الطيبة ، إذا فرغت من عملها ، ذهبت إلى جانب من الموقد ، وجلست فوق الرماد ، ومن هنا أطلق عليها اسم « بنت الرماد » ، ولكن بنت الرماد ، مع ثيابها البالية ، كانت تبدو أجمل من أختيها اللابستين الملابس الفاخرة .

واتفق أن ابن الملك ، أحيا ليلة راقصة ، دعا إليها علية القوم ، وكانت الفتاتان فى جملة المدعوين إلى هذه الليلة الراقصة ، لأنهما كانتا تظهران فى المدينة بمظاهر العظمة والأبهة . فانهمكتا باختيار ملابس السهرة ، وتسريحة الشعر التى تزيدهما رونقاً وبهاء ، وكان من أثر ذلك أن زاد عناء بنت الرماد ، لأنها هى التى تكوى ملابس أختيها ، وتقوّى أكمامها ، وما كان للفتاتين من حديث سوى زينتهما فقالت الكبيرة :

— « أنا سألبس ثوبى المخملى الأحمر ، وأتبرج بمجموعة حلىي

وجواهرى » .

وقالت الصغيرة :

— « أنا سألبس ثوبى العادى، ولكن سألبس فوقه معطفى المطرز بزهرات الذهب ، وأتحلى بعقدى من الألماس الثمين » .

ثم أرسلتا تدعوان الممشطة لتصفف لهما شعرهما ، وترفع جدائلهما فى صفين متقابلين ، وبعثتا من يشترى لهما قناعين من الحرير الأسود لتتنكرا به ، ثم دعتا بنت الرماد لتبدى رأيها فى زينتهما ، فقد كانت صاحبة ذوق سليم ، فبذلت لهما أحسن النصح وعرضت عليهما أن تسرحهما فقبلتا مسرورتين .

وبينما كانت تسرحهما قالتا لها :

— « أيسرك يا بنت الرماد أن تذهبى إلى هذه السهرة ؟» .

فقالت :

— « أنتما تسخران منى فليس عندى ما يليق » .

فقالت :

— « صحيح ! سوف يضحك الناس كثيراً لو رأوا بنتاً من بنات الرماد تذهب إلى ليلة ساهرة » .

ولو سمعتها بنت غير بنت الرماد . لسرحتهما تسريحاً منكراً ، ولكنها كانت فتاة طيبة القلب ، فسرحتهما تسريحاً جميلا ، وظلت الفتاتان من

شدة فرحهما لا تذوقان طعاماً مدة يومين ، وحدِّثْ ولا حَرَجَ عن عدد الأربطة التي قطعت ، عند ما كانت تشد إلى خصرهما ليبدو نحيلا ، ثم إنهما ما كانتا تغيبان عن المرآة لحظة واحدة .

وأخيراً جاء اليوم السعيد ، فذهبتا إلى السهرة ، وبنت الرماد تتبعهما بنظراتها ما استطاعت ، فلما غابتا عن نظرها أجهشت بالبكاء ، فأقبلت عليها عرّابتها تسألها عن شأنها ، فما سمعت منها إلا « أريد . . . نعم أريد .. » لأن العبرات كادت تخنقها فلا تستطيع إتمام الكلام ، فقالت لها عرابتها وكانت من الجنيات :

— « تريدين أن تذهبي إلى الليلة الراقصة ، أليس كذلك ؟ » .

فقالت بنت الرماد وهي تتنهد :

— « نعم ! أريد أن أذهب » . فقالت عرابتها :

— « إذا سمعت كلامي ذهبت إلى السهرة » .

فاقتادتها إلى غرفتها وقالت لها :

— « انزلي إلى البستان وائتيني منه بقرعة عسلية » .

وفي الحال نزلت بنت الرماد إلى البستان ، وقطعت منه أجمل قرعة رأتها ، وأتت بها إلى عرابتها ، وهي لا تدرى كيف أن قرعة ستمكنها من الذهاب إلى السهرة ، فأخذتها منها الجنية وقورتها ، ولم تترك فيها غير القشرة ، ثم لمستها بعصاها السحرية فاستحالت القرعة إلى مركبة جميلة مذهبة .



ومضت الجنية إلى مصيدة الفئران ، فوجدت ستة فئران حية ، فقالت لبنت الرماد : « افتحى باب المصيدة » ففتحته ، وكان كلما خرج منها فأر ، لمسته الجنية بعصاها السحرية ، فانقلب حصاناً جميلا ، وهكذا جرّت المركبة ستة أحصنة رمادية اللون مرقشة .

وحارت الجنية فيمن تجعله سائق المركبة ، فقالت لها بنت الرماد :

— « سأرى هل فى مصيدة الجرذان جُرَذ ما فنجعله السائق » .

فقالت لها عرّابتها :

— « أصبت ! طيرى إلى المصيدة » .

فأتتها بنت الرماد بالمصيدة ، وكان فيها ثلاثة جرذان كبار ، فانتقت الجنية أكبرها وأكثفها لحية ، فلمسته بعصاها وجعلت منه سائقاً عظيم الشاربين لم ير قط مثلهما ، ثم قالت لبنت الرماد :

— « اذهبى إلى البستان ، ففيه ست ورلات (حراذين أو سحالى) وراء الرشاشة فأتينى بها » .

فما أتت بها حتى أحالتها إلى ستة مماليك ركبوا فى مؤخرة المركبة ، وبدوا فى ثيابهم المزركشة ، ووقفتهم الجميلة ، كأنهم ما صنعوا شيئاً غير هذا طيلة حياتهم . وقالت الجنية عندئذ لبنت الرماد :

— « ألا يعجبك أن تذهبى إلى الليلة الساهرة فى هذا الموكب ؟ » .

فقالت :

— « يعجبني جداً ، ولكن هل أذهب بثيابي هذه البالية ؟ » .

فما إن لمستها عرابتها بعصاها ، حتى استحالت ثيابها إلى ثياب من الذهب والفضة ، مرصعة باللآلئ والحجارة الكريمة ، ثم أعطتها حذاء من الزجاج ، ليس فى العالم أجمل منه ، فلما اكتملت زينتها صعدت فى المركبة . وأوصتها عرابتها بأن لا تمكث فى السهرة بعد منتصف الليل ، وإلا عادت المركبة قرعة ، والأحصنة فئراناً ، والمماليك حراذين ، وحلتها الثمينة ثيابها القديمة البالية .

فوعدت الفتاة عرابتها بأن تخرج من السهرة قبل انتصاف الليل ، وسارت وهى لا تكاد تتمالك نفسها من الفرح ، فلما وصلت إلى القصر أسرع الخدم يخبرون ابن الملك بقدوم أميرة عظيمة القدر لا يعرفونها ، فجرى ابن الملك إلى استقبالها ، ومد لها يده ليساعدها على النزول من المركبة ، ثم صحبها إلى حيث كان المدعوون مجتمعين ، فخيم على القاعة الصمت والسكون ، ووقف الرقص ، وسكتت الموسيقى ، واتجهت كل الأنظار إلى هذه الفتاة المجهولة ، تتأمل جمالها وتدهش له ، وما كان يسمع من جميع الأفواه إلا همسة واحدة قائلة : « لله ما أجملها ! » حتى الملك ، لم ينقطع ، على شيخوخته ، عن التحديق فيها ، وعن مخاطبة الملكة بصوت منخفض ، بأنه مضى عليه زمن طويل لم يشهد فيه مخلوقاً على مثل هذا الجمال واللطف ، وكانت النساء كلهن يتأملن ثيابها وتسريحتها ، فى انتباه ودقة ،

ويفكرن فى الحصول على مثلها منذ صباح غد ، هذا لو وجدن ذلك النسيج وتلك اليد الماهرة .

وأحلها ابن الملك فى صدر المجلس ، ثم طلب أن يراقصها ، فرقصت فى سحر وكياسة ملكا على الناس ألبابهم ، وزاد إعجابهم بها . ولما افتتح المقصف ، لم يتناول ابن الملك منه شيئاً ، فقد كان مشغولا بالتحديق فى هذه الأميرة الجميلة . أما هى فذهبت تجلس قرب أختيها ، وتتودّد لهما ، وتشاركهما فى البرتقال والليمون اللذين قدمهما إليها ابن الملك ، فدهشتا من أدب هذه الأميرة التى لا يعرفانها .

وسمعت بنت الرماد الساعة تدق الحادية عشرة وثلاثة الأرباع ، فحيت الحاضرين تحية مؤدبة ، وغابت عن الأنظار . فما إن وصلت إلى المنزل ، حتى اتجهت إلى عرّابتها فشكرتها وقالت لها : « إنها تودّ لو تذهب غداً أيضاً إلى الليلة الراقصة ، تلبية لدعوة ابن الملك » . وبينما كانت منهمكة فى أن تقُصّ على عرّابتها كل ما حدث فى السهرة ، وصلت أختاها فطرقتا الباب ، ففتحته بنت الرماد وهى تتثاءب وتفرك عينيها ، وتتمطى كأنها صحت من الرقاد ، مع أن النعاس كان قد طار من عينيها منذ فارقتهما فقالت :

— « ما أبطأكما فى الرجوع ! » . فقالت لها إحداهما :

ــ « لو كنت فى السهرة ما ضجرت ، فقد جاءت إليها أجمل أميرة على وجه الأرض ، وتوددت لنا كثيراً ، وقدمت لنا إلينا برتقالا وليموناً » .

فطغت على بنت الرماد موجة من الفرح ، وسألتهما عن اسم هذه الأميرة فقالتا :

« إنها أميرة مجهولة ، وإن ابن الملك حيران فى أمرها ، فهو يعطى كل ما على الأرض ليعرف من هى ؟ » فتبسمت بنت الرماد وقالت لها :

ــ « أكانت إذن على هذا الجانب العظيم من الجمال ؟ يا لله ما أسعدكما ! ألا يمكننى أن أراها ؟ ألا تعيرينى يا أختى الكبيرة ثوبك الأصفر الذى تلبسينه كل يوم ؟ » . فقالت لها أختها الكبيرة :

ــ « صحيح . . . هذا رأيى أنا أيضاً . . . أعير ثوبى بنتاً من بنات الرماد . . . لا بد أن أكون مجنونة لأفعل ذلك . . . » .

وكانت بنت الرماد تتوقع هذا الرفض ، فسرت به ، لأن أختها لو قبلت أن تعيرها ثوبها لأوقعتها فى حيرة عظيمة .

وفى اليوم الثانى ذهبت الأختان إلى الليلة الراقصة ، وذهبت بنت الرماد أيضاً فى زينة أكمل وأبهى من المرة الأولى ، فلم يفارقها ابن الملك ، ولا انقطع عن التودد لها ، فنسيت وهى فى إبان سرورها ، ما أوصتها به عرابتها ، فلما سمعت الدقة الأولى من منتصف الليل ، فرت من السهرة بخفة الأوعال فلحق بها الأمير ولكن لم يستطع إدراكها ، وفى أثناء فرارها سقطت من

رجلها فردة حذائها الزجاجى ، فالتقطه الأمير بعناية فائقة .

وصلت بنت الرماد إلى المنزل وهى تلهث من التعب ، فلا مركبة ولا مماليك، ولا ثياب إلا ثيابها البالية ، ولم يبق لها من زينتها إلا الفردة الثانية من حذائها الزجاجى .

وسئل الحرس هل رأوا أميرة تخرج من القصر ؟ فقالوا إنهم لم يروا أحداً خرج منه إلا فتاة رثة الثياب ، أشبه بالفلاحات منها بأوانس الأسَر .

ولما عادت الشقيقتان ، سألتهما بنت الرماد هل سُرّتا من السهرة فى هذه المرة أيضاً ؟ وهل جاءت إليها الأميرة الحسناء ؟ فقالتا : « نعم جاءت، ولكنها لما دقت الساعة مؤذنة بانتصاف الليل ، هرعت هاربة فسقطت من رجلها فردة حذائها الزجاجى ، وهو أجمل حذاء فى العالم ، فالتقطه ابن الملك ووضعه نصب عينيه طيلة بقية السهرة ، ولا شك أنه مغرم بحب الحسناء صاحبة هذا الحذاء » .

وكان ما قالتاه صحيحاً ، فإن ابن الملك ، بعد أيام قليلة ، أطلق المنادين ينفخون فى الأبواق ، ويعلنون أنه سيتزوج الفتاة التى سيكون ذلك الحذاء قدّ رجلها ، فبدأت كل من الأميرات، فالنبيلات ، ففتيات القصر ، تقيس ذلك الحذاء ، ولكن دون فائدة ، ثم جىء كذلك به إلى الشقيقتين ، فبذلت كل منهما جهدها لإدخال قدمها فيه فلم تستطع ، وبنت الرماد تنظر إليهما ، فعرفت حذاءها وقالت ضاحكة :

— « بودّى لو أجرّب لبسه فقد يكون قياس قدمى ! » .

فضحكت منها أختاها وهزأتا بها ، ولكن الفتى المكلف البحث عن صاحبة الحذاء . لما أمعن النظر فى بنت الرماد ووجدها جميلة ، أقرّها على رأيها وقال : « إن الأمر الصادر إليه يحتّم عليه أن يمكّن كل فتاة من لبس هذا الحذاء . ثم أجلس بنت الرماد ، وقرب الحذاء من قدمها الصغيرة فدخلت قدمها فيه دون عناء . كأنه قالب من الشمع . فدهشت الأختان وازدادت دهشتهما لما أخرجت بنت الرماد من جيبها الفردة الثانية فلبستها . وفى هذه الأثناء أقبلت عرابتها ولمست ثياب بنت الرماد بعصاها السحرية وأحالتها ثياباً فاخرة جميلة .

وعندئذ عرفت الشقيقتان أن بنت الرماد هى الأميرة التى رأتاها فى السهرة . فارتمتا عند قدميها تطلبان منها الصفح عن سوء معاملتهما إياها ، فأنهضتهما بنت الرماد وقالت لها وهى تقبلهما : « إنها تصفح عنهما فى طيب خاطر . وتطلب إليهما أن تحباها دائماً » .

وسار الموكب ببنت الرماد فى زينتها تلك إلى الأمير . فرآها أجمل مما عرفها ، وتزوجها بعد أيام قليلة .

وكانت بنت الرماد جميلة الوجه جميلة النفس .. فأسكنت أختيها معها فى القصر . وزفتهما فى اليوم نفسه إلى سيدين عظيمين من حاشية الملك .



ريكى أبو قصة

ولدت ملكة مرة غلاماً قبيح المنظر بشع التركيب ، حتى شك الناس طويلا فى أن يكون له صورة إنسان ، وشهدت ميلاده جنية من الجنيات ، فأكدت أنه سيكون محبوباً لفرط ذكائه ، وقالت : « إنها قد منحته القدرة على أن يهب مثل ذكائه لمن يتفانى فى حبه » .

فتعزّت الملكة بهذا ، وكان يؤلمها كل الألم أن تضع مثل هذا المخلوق البشع ، غير أنه ما بدأ هذا الطفل يتكلم ، حتى عبر عن كل جميل ، وكان فى أعماله من الفطنة والذكاء ، ما حببه إلى القلوب . ونسيتُ أن أقول إنه جاء إلى هذا العالم ، بقصة من الشعر تتدلى فوق جبينه ، فسمّوه « ريكى

آبو قصة » لأن ريكى كان اسم أسرته .

وبعد سبع سنوات أو ثمان ، ولدت ملكة مملكة مجاورة ابنتين : كانت إحداهما جميلة مشرقة إشراق الصباح ، ففرحت الملكة بها فرحاً لا يوصف ، حتى خيف عليها من شدة الفرح ، وكانت الجنية التى شهدت ميلاد ريكى الصغير ، حاضرة ميلاد هذه الابنة ، فشاءت أن تخفف من فرح الملكة فقالت لها : « إن الأميرة ستكون مجردة من الذكاء ، وستكون بلاهتها على قدر جمالها » ، فحزنت الملكة لذلك ، وزاد فى حزنها بعد قليل ، أن تكون ابنتها الثانية بشعة كل البشاعة ، فقالت الجنية لها :

— « لا تحزنى هذا الحزن يا سيدتى . فإن ابنتك سيعوض لها عن بشاعتها ، بمقدار من الذكاء يُنسى الناظر إليها بشاعة وجهها » .

فقالت الملكة :

— « سمع الله كلامك . ولكن أليس من سبيل إلى منح الأولى شيئاً من الذكاء يزين جمالها الباهر ؟ » .

فقالت الجنية :

— « لا قدرة لى يا سيدتى على فعل شىء من ناحية الذكاء ، فى حين أستطيع كل شىء من ناحية الجمال ، ولما كنت لا أتأخر عن شىء سبيل مرضاتك ، فسأهبها القدرة على أن تمنح الجمال مَن يعجبها من الناس » .

كبرت الفتاتان وكبرت معهما صفاتهما وعيوبهما ، فكان حديث الناس جمال الأولى وذكاء الثانية ، وكلما تقدمت بهما السن ازدادت الصغرى بشاعة ، والكبرى بلاهة ، فكانت لا تجيب عما تسأل عنه ، أو تجيب إجابة سخيفة ، وكانت مع ذلك لـخـمـة لا تستطيع أن تصف أربعة صحون على طرف الموقد ، دون أن تكسر واحداً ، ولا أن تشرب قدح ماء ، دون أن يندلق نصفه على ثيابها .

وما من شك فى أن الجمال مزية كبيرة ، ولكن كانت الفتاة الصغرى مع ذلك ، تفضل على أختها فى كل الاجتماعات ، فكان الناس فى بدء الأمر يذهبون ناحية الجميلة ليروها ، ويتأملوا جمالها ، ثم كانوا يتركونها إلى الذكية ، ليسمعوها تتحدث بكل فطنة ولباقة ، فما إن ينقضى ربع ساعة حتى ينفض الناس من حول الكبرى ، ويتزاحموا حول الصغرى ، فلاحظت هذه ، على حماقتها ، انصراف الناس عنها ، وودت غير آسفة لو فقدت كل جمالها وحصلت على نصف ذكاء أختها ، وزادها ألماً على ألم ، أن أمها — وكانت عاقلة حكيمة — كانت تلومها مراراً على بلاهتها .

واتفق لهذه الأميرة المسكينة ، أن توغلت يوماً فى إحدى الغابات ، لتشكو همها وتنفس عن صدرها ، فرأت رجلا صغيراً قبيح المنظر جميل الثياب مقبلا نحوها ، وهو « ريكى أبو قصة » . فإنه كان قد رأى صور الأميرة تتداولها الأيدى فى العالم ، فأحبها ووقع فى غرامها ، وهجر مملكة

أبيه لينعم برؤيتها والتحدث إليها ، فلما رآها وحيدة منفردة ، فرح أشد الفرح ، وأقبل نحوها فى أدب واحترام ، غير أنه لاحظ بعد أن حياها أنها حزينة كئيبة فقال لها :

— « لست أدرى يا سيدتى كيف تحزن هذا الحزن البادى عليك ، من كانت مثلك جمالا وحسناً ، وإنى وإن كنت — ولا فخر — قد رأيت عدداً لا يحصى من الجميلات ، ما رأيت قط جمالا يقرب من جمالك » .
فقالت :

— « معنى كلامك . . . » ولم تزدْ على ذلك حرفاً فقال ريكى :

— «إن الجمال مزية كبيرة يعوّض عن كل ما عداه ، ولست أرى سبباً يدفعك إلى مثل هذا الحزن العميق ، وأنت على ما أنت عليه من جمال » .

فقالت الأميرة :

— « لأن أكون مثلك بشعة وذكية ، خير مما أنا عليه من جمال وبلاهة ».
فقال :

— « ظنك يا سيدتى أنك خالية من الذكاء هو الذكاء عينه ، ومن طبيعة هذه الهبة أنها كلما ازدادت فى الإنسان ، ازداد توهمه أنه خال منها » .
فقالت الأميرة :

— « إنى لا أعرف ذلك ، وإنما أعرف أنى جِدّ بلهاء ، وهذا هو



سبب الحزن الذى يقتلنى » .

فقال :

ـ « إن كان هذا ما يحزنك يا سيدتى ، فى استطاعتى أن أضع حداً لآلامك » .

فقالت الأميرة :

ـ « وكيف تفعل ؟ » .

فقال ريكى أبو قصة :

ـ « إن فى قدرتى يا سيدتى أن أمنح من أحب ، ما يحتاج إليه من ذكاء ، ولما كنت أنت ذلك الحبيب ، فحصولك على القدر الذى ترغبين فيه من الذكاء موكول إلى قبولك إياى زوجاً لك » .

فبقيت الأميرة واجمة ولم تجب فقال ريكى أبو قصة :

ـ « أرى أن هذا العرض قد ساءك ، فلا عجب فى ذلك ، ولكننى أمهلك سنة كاملة للتفكير فى قبوله » .

ولما كانت الأميرة قليلة الذكاء ، وراغبة فى الحصول عليه ، توهمت أن هذه المهلة لن تنتهى ، فقبلت ما عرض عليها ، وما كادت تعد ريكى بالزواج فى مثل هذا اليوم من العام المقبل ، حتى شعرت بأنها انقلبت إنساناً آخر ، فقد أصبحت فصيحة اللسان تعبر عما تريد بأسلوب بليغ ، لا تصنع فيه ولا تكلف ، وبدأت منذ هذه اللحظة تحدث ريكى

الأحاديث الطريفة القوية ، حتى ظن هذا أنه أعطاها من الذكاء فوق ما احتفظ به لنفسه ، ولما عادت إلى القصر ، تعجب الناس مما طرأ عليها من تغير مفاجئ عجيب ، فصاروا لا يسمعون منها تلك السخافات التى كانت تهذر بها ، بل صاروا يسمعون منها أحاديث تدل على الفطنة والذكاء ، فاستولى عليهم سرور لا يوصف ، ولم يستأ من هذا الأمر إلا شقيقتها الصغرى ، فقد كان الذكاء ميزتها على أختها ، فأصبحت الآن إلى جانبها قرداً شنيعاً .

وصار الملك يسمع نصائحها ، ويعقد أحياناً مجلسه فى حجرتها ، فانتشر نبأ هذا التغير ، وبذل أمراء الممالك المجاورة أقصى جهدهم ليجملوا فى عينيها ، وطلبوا كلهم يدها ، ولكنها لم تجد فيهم أحداً وافر الذكاء ، فكانت تصغى إليهم ولا ترتبط معهم بوعد ولا ميثاق ، غير أنه تقدم إليها أمير واسع السلطان والغنى ، حاد الذكاء جميل القوام ، فمالت نفسها إليه ، ولاحظ أبوها ذلك فترك لها اختيار الزوج الذى تؤثره ، ولكن الأذكياء لا يبتون سريعاً فى مثل هذا الموضوع ، فطلبت من أبيها مهلة للتفكير .

واتفق لها أن أرادت أن تخلو إلى نفسها ، فذهبت تتنزه فى الغابة التى كانت قد لقيت فيها ريكى ، وبينما هى تجول فى أنحاء الغابة مستسلمة إلى التفكير العميق ، شعرت بضجة تحت قدميها ، كأنها أصوات أناس يذهبون ويجيئون ويعملون ، فأرهفت أذنها فسمعت واحداً يقول :

« هات هذه القدر » وآخر يقول : « هات هذا المرجل » وثالثاً يصيح : « ضع الحطب فى النار » وما هى إلا لحظة حتى انشقت الأرض ، فرأت تحت قدميها مطبخاً ملآن بالطباخين ومساعديهم ، وبعدد وافر من الخدم ، يصلحون لإقامة وليمة فخمة ، فبرز منهم جماعة الشوائين ، وكانوا عشرين أو ثلاثين ، وذهبوا إلى ناحية من الغابة ، واستداروا حول منضدة طويلة ، وفى يد كل منهم ثعلب يعده للشواء ، وكانوا كلهم يعملون فى نظام وترتيب على نغمات أنشودة جميلة .

فدهشت الأميرة من هذا المنظر وسألتهم لمن يعملون ؟ فقال أقربهم إليها :

— « إننا يا سيدتى فى خدمة الأمير " ريكى أبو قصة " وسيحتفل غداً بزواجه » .

فلم تزدد الأميرة إلا دهشة ، ثم تذكرت فجأة أنها فى مثل هذا اليوم من العام الماضى ، كانت قد وعدت « ريكى أبو قصة » بالزواج فكاد يغمى عليها .

والذى جعلها لا تذكر وعدها ، أنها كانت بلهاء عند ما وعدت ، وأنها نسيت كل سخافاتها لما تحلى ذهنها بالذكاء .

تابعت سيرها فلم تكد تخطو بضع خطوات ، حتى برز لها ريكى أبو قصة فى حلة فاخرة ، كمن يستعد للزواج فقال لها :

ـ « ها أنا ذا يا سيدتى ! جئت أفى بالعهد ، ولا شك فى أنك قدمت لتبرّى أيضاً بوعدك » .

فقالت الأميرة .

ـ « أصارحك القول أنى لن أستطيع الوفاء بوعدى على النحو الذى تتمنى » .

فقال ريكى أبو قصة :

ـ « إنك لتدهشيننى » .

ـ « أعرف ذلك ، فلو أنى أحدث رجلا فظًّا لا ذكاء له ، لتحير فى أمرى ، ولقال لى : "إن الأميرات لا ينكثن العهد، فقد وعدتنى بالزواج فيجب أن تبرى بوعدك"، غير أنه لما كان الرجل الذى أخاطبه أذكى رجل على الأرض، فإنى على يقين من أنه سيحكم عقله، وأنت لا تجهل أنى لما كنت بلهاء، لم أرض بالزواج بك، فكيف تريد بعد ما وهبت لى من ذكاء جعلنى أصعب حكماً ، أن أبتّ اليوم فى أمرلم أكن لأقدم عليه فى ذلك العهد ، فإن كنت جادًّا فى رغبتك الزواج بى ، فقد أخطأت كل الخطأ فى أنك بدّدت بلاهتى ، وجعلتنى أصفى ذهناً ، وأصدق نظراً فى الأمور » .

فقال ريكى أبو قصة :

ـ « إذا حقّ لرجل خال من الذكاء ، أن يلومك كما تقولين على

نقضك العهد. فلماذا تريدينني يا سيدتي على ألا أحذو حذوه، في أمر تتوقف عليه سعادتي في الحياة ، فهل من المعقول أن يكون الأذكياء أقل شأناً من الأغبياء ؟ أترين أنت ذلك وقد أصبحت على جانب عظيم من الذكاء الذي طالما تمنيت أن تحصلي عليه ؟ ولكن لنحصر كلامنا فيما يهمّنا . فهل تكرهين فيّ شيئاً غير بشاعتي؟ أولا يرضيك مني حسبي وذكائي وأخلاقي وسيرتي ؟ » .

فقالت الأميرة :

— « كلا ! وإني أحبّ فيك كل ما ذكرت » .

فقال ريكي أبو قصة :

— « إذن أكون سعيداً ما دام في استطاعتك أن تجعليني ألطف مخلوق » .

فقالت الأميرة :

— « وكيف يكون ذلك ؟ » .

فقال ريكي أبو قصة :

— « يكون ذلك إذا أحببتني . . . ثم اعلمي يا سيدتي أن الجنية التي وهبتني يوم مولدي القدرة على بعث الذكاء فيمن أحب ، هي نفسها التي وهبتك القدرة على بعث الجمال فيمن تحبين . وفيمن ترغبين أن تمنحيه هذه النعمة » .

فقالت الأميرة :

ـ « إذا كان الأمر كذلك ، فإنى أتمنى أن تصبح أظرف أمير على الأرض ، وأن تحاكينى جمالا بجمال » .

وما كادت الأميرة تنطق بهذه الكلمات ، حتى بدا ريكى أبو قصة لعينيها أجمل أهل الأرض ، وأدقهم قسمات ، وأظرف من رأت فى حياتها . ويقول بعض الناس : إن سبب هذا التبدل لا يعود إلى سحر الجنية ، بل إلى الحب وحده ، ويقولون إن الأميرة لما فكرت فى ثبات حبيبها ورزانته ، وفضائل نفسه وعقله ، غاب عن عينيها تشويه جسمه ، وبشاعة وجهه ، فرأت فى حدبته انحناءة رجل مفكر ، وفى عرجه الفظيع مشية خفيفة ساحرة ، ويقولون أيضاً : إن عينيه الحولاوين بدتا لها براقتين جميلتين ، ينبعث منهما نور الحب الشديد ، وإن أنفه الكبير الأحمر رأت فيه مظهراً من مظاهر الجندية والبطولة .

وكيفما كان الأمر ، فقد وعدته الأميرة فى الحال بالزواج ، إذا وافق أبوها الملك ، ولما عرف أبوها ابنته تميل إلى « ريكى أبو قصة » ، وكان هو يقدر فيه الذكاء والفطنة ، وافق على مصاهرته مسروراً .

وفى اليوم الثانى أقيمت معالم الأفراح على النحو الذى كان « ريكى أبو قصة » قد قرره ، وأصدر فيه أمره منذ زمن طويل .



القبعة الحمراء

كان فى بعض القرى مرة ، فتاة صغيرة حسناء لم تقع العين على أجمل منها: وكانت أمها تحبها حبًّا شديداً ، وجدّتها مجنونة بحبها ، فصنعت لها يوماً هذه الجدة الطيبة ، قبعة حمراء زادتّها حسناً ورشاقة ، حتى صار الناس يسمّون هذه الفتاة الصغيرة : القبعة الحمراء.

فى يوم من الأيام قالت لها أمها وقد انتهت من صنع الفطائر :

— « اذهبى إلى جدتك ، واسألى عن صحتها فقد علمت أنها مريضة ، واحملى لها فطيرة وهذا الإبريق من السمن » .

فسارت القبعة الحمراء فى الحال ، إلى جدتها الساكنة فى قرية أخرى.

ولما مرت بغابة من الغابات ، لقيها الذئب المحتال ، فاشتهى أن يأكلها ، ولكنه لم يجسر على ذلك لوجود بعض الحطابين فى الغابة ، فسألها إلى أين هى ذاهبة ، ولم تكن المسكينة تعرف أن الوقوف لمحادثة الذئاب خطر كبير فقالت له :

ــ « إنى ذاهبة إلى جدتى لأراها وأحمل إليها فطيرة وإبريق سمن أرسلتهما أمى إليها » .

فقال لها الذئب :

ــ « وهل تسكن جدتك بعيداً ؟ » .

فقالت القبعة الحمراء :

ــ « نعم ! وراء الطاحونة التى تراها هناك ! هناك عند أول منزل من منازل القرية » .

فقال الذئب :

ــ « أريد أنا أيضاً أن أذهب لأراها ، وسأسير فى هذا الطريق وتسيرين أنت فى ذلك الطريق ، وسنرى من منا يصل أولا » .

وبدأ الذئب يركض بكل قوته فى الطريق القصير ، وذهبت الفتاة فى الطريق تلعب وتلهو بقطف ثمر البندق ، والجرى وراء الفراش ، وجمع باقات الزهر .

وما هو إلا قليل من الزمن حتى يصل الذئب إلى بيت الجدة فيطرق



الباب : طق ! طق ! فيسمع الجدة تقول : « من يطرق الباب ؟ فيقول مقلداً صوت القبعة الحمراء :

— « أنا ابنتك القبعة الحمراء ! أتيتك بفطيرة وإبريق صغير من السمن أرسلتهما إليك أمى » .

وكانت الجدة الطيبة ملازمة للفراش ، لأنها كانت منحرفة المزاج فقالت :

— « اسحبى لسان الباب ينفتح » .

فسحب الذئب لسان الباب فانفتح ، فهجم على المسكينة والتهمها فى طرفة عين ، فقد كان قضى ثلاثة أيام دون طعام ، ثم أغلق الباب ، ورقد فى سرير الجدة ينتظر القبعة الحمراء ، فجاءت بعد قليل وطرقت الباب : طق ! طق ! فسمعت صوتاً يقول : « من الطارق ؟ » .

فخافت القبعة الحمراء من سماع صوت الذئب الخشن ، ثم ظنت أن جدتها مزكومة فقالت :

— « أنا ابنتك القبعة الحمراء ! أتيتك بفطيرة وإبريق صغير من السمن أرسلتهما إليك أمى » .

فصاح الذئب وقد رقق صوته قليلا :

— « اسحبى لسان الباب ينفتح » .

فسحبت القبعة الحمراء لسان الباب فانفتح . ولما رآها الذئب قد

دخلت المنزل تغطى باللحاف وقال :

— « ضعى الفطيرة وإبريق السمن فوق صندوق الطحين ، وتعالى ارقدى معى فى السرير » .

فخلعت القبعة الحمراء ملابسها ، وجاءت ترقد فى السرير ، فتعجبت من هيئة جدتها فى ملابس النوم فقالت لها :

— « يا جدتى ما أطول ذراعيك ! » .

— « لكى أحسن عناقك يا ابنتى ! » .

— « يا جدتى ما أطول ساقيك ! » .

— « لكى أحسن الركض يا ابنتى ! » .

— « يا جدتى ما أطول أذنيك ! » .

— « لكى أحسن السماع يا ابنتى ! » .

— « يا جدتى ما أكبر عينيك ! » .

— « لكى أحسن النظر يا ابنتى ! » .

— « يا جدتى ما أكبر أسنانك ! » .

— « لكى آكلك ! » .

قال الذئب اللئيم هذا وهجم على القبعة الحمراء فأكلها .



عقلة الإصبع

كان مرة لحطّاب وزوجته سبعة أولاد كلهم صبيان : وكان عمر أكبرهم عشر سنوات ، ولم يكن عمر أصغرهم يتجاوز سبع سنوات. ولا عجب أن يرزق الحطاب كل هؤلاء الأولاد فى مدة قصيرة ؛ ذلك بأن زوجته كانت تلد اثنين فى كل مرة .

وكان الحطاب وزوجته فقيرين جدًّا، ومتضايقين من كثرة أولادهما ، فما فيهم واحد يستطيع أن يكسب رزقه ، وقد زادهما حزناً أن يريا أصغر أولادهما ضئيلا نحيلا لا ينطق بحرف ، فكانا يظنان مخايل الذكاء فيه حمقاً وبلاهة ، وكان هذا الابن قصير القامة ، لا يزيد طوله على طول

الإبهام حينما ولدته أمه ، فسمى لذلك « عقلة الإصبع » .

وكان الولد المسكين ، هو الابن المضطهد فى الأسرة ، يخطئونه فى كل شىء ، فى حين أنه أذكى إخوته ، وأكثرهم فطنة ، فإن كان قليل الكلام فهو كثير الانتباه والإصغاء .

ومرّت على الحطاب وزوجته سنةٌ عابسة ، انتشرت فيها المجاعة حتى فكرا فى التخلص من أولادهما ، ففى مساء يوم من الأيام أوى الأولاد إلى فراشهم ، وجلس الحطاب وزوجته إلى الموقد يصطليان فقال لها فى ألم وحسرة :

– « لا تجهلين أنه لم يعدْ فى إمكاننا توفير الغذاء لأولادنا ، ويؤلمنى أشد الألم أن أراهم يموتون جوعاً أمام عينى ، وقد صممت أن نأخذهم غداً إلى الغابة ونتركهم فيها ، وليس هذا بالأمر الصعب ، فبينما يلهون بحزم الحطب : فما علينا إلا أن نهرب دون أن يرونا ، فقالت له زوجته :

– « آه ! كيف يطاوعك قلبك أن تفعل أنت ذلك ؟ » .

وعبثاً حاول زوجها أن يبين لها فقرهما الشديد ، فقد كان يعز عليها أن توافقه على ما أراد : فهى امرأة فقيرة ، ولكنها أم هؤلاء الأطفال ، غير أنها لما تبينت شدة ألمها إذا رأتهم يموتون من الجوع ، وافقت زوجها على عزمه وذهبت تنام وهى تبكى .

سمع « عقلة الإصبع » كل ما دار بينهما من حديث ، لأنه سمعهما وهو فى فراشه يتحدثان عن مختلف الشؤون ، فنهض بخفة واندسّ تحت

كرسى أبيه ، ليصغى إلى الحديث دون أن يُرَى ، ثم عاد إلى فراشه ، ولم يغمض له جفن طول الليل ، وهو يفكر فيما يجبُ عليه عمله . فنهض مبكراً وذهب إلى شاطئ النهر ، وملأ جيبه من الحصى الأبيض ، ورجع إلى المنزل ، ثم سار الأب والأم والأولاد إلى الغابة ولم يقل « عقلة الإصبع » لإخوته شيئاً مما عرف .

وكانت الغابة التى ذهبوا إليها كثيفة،تتعذر الرؤية فيها على بُعْدِ عشر خطوات ، فبدأ الأب يقطع الحطب ، وشرع الأولاد يجمعون الأغصان الرطبة ليحزموا بها الحطب ، واغتنم الحطاب وزوجته فرصة انشغال أولادهما بجمع الأغصان ، فابتعدا عنهم دون أن يشعروا بهما ، ثم سلكا درباً خفياً ولاذا بالفرار.

ولما رأى هؤلاء الأطفال أنهم وحيدون فى الغابة ، أخذوا يبكون ويصرخون بملء أصواتهم ، أما « عقلة الإصبع » فتركهم يصيحون ، فقد كان يعرف طريق الرجوع إلى البيت ، ذلك بأنه كان على طول الطريق قد ألقى الحصى الأبيض الذى كان فى جيبه ، فقال لهم :

ـ « يا إخوتى لا تخافوا ! إن أبوينا قد تركانا هنا ، ولكننى سأعيدكم إلى المنزل وما عليكم إلا أن تتبعونى » .

تبعه إخوته فقادهم إلى المنزل ، سالكاً بهم نفس الطريق الذى جاءوا منه إلى الغابة ، فلم يجسروا فى بدء الأمر على الدخول ، بل وضعوا كلهم

آذانهم على الباب ينصتون إلى ما يقوله أبوهم وأمهم .

وكان للحطاب على عمدة القرية ، دين قديم قدره عشرة ريالات ، كان قد قطع الأمل من استيفائه ، فلما وصل هو وزوجته إلى المنزل ، تلقيا المبلغ فانتعشا به ، وقد كادا يموتان جوعاً ، فأرسل الحطاب زوجته فى الحال إلى الجزار ، بعد إذ مضى عليهما وقت طويل لم يذوقا فيه طعاماً ، فاشترت من اللحم ثلاثة أضعاف ما يحتاج إليه عشاء نفرين ، فبعد أن أكلا وشبعا قالت الزوجة :

ــ « واحسرتاه ! أين الآن أولادنا المساكين . ولكن أنت الذى أردت أن تضيعهم ، وأنا قلت لك إننا سنندم على فعلنا . . . ترى ماذا يصنعون الآن فى الغابة ؟ آه يا إلهى ! قد تكون الذئاب افترستهم . . . إن عملك هذا مجرد من الرحمة والإنسانية » .

نفد صبر الحطاب من سماع زوجته تقول له غير مرة ، وهى على حق ، إنه سيندم على فعله ، فهددها بالضرب إن لم تسكت ، ولم يكن الحطاب أقل حزناً من زوجته ، ولكنه أصيب بصداع من كلامها المستمر ، وكان من أولئك الناس الذين يحبون المرأة المتكلمة ، ولكنهم ينزعجون منها ويتضايقون إذا رأوها قد أصابت المرمى .

ولم تنقطع زوجة الحطاب عن البكاء والنحيب وترديد قولها : « واحسرتاه ! أين الآن أولادى ؟ أين الآن أولادى المساكين ؟ » ولقد

ردّدت مرة هذا الكلام بصوت عال ، فسمعها الأولاد الذين كانوا وراء الباب فصاحوا جميعاً : « نحن هنا ! نحن هنا ! » فجرت مسرعة إلى الباب وفتحته وقالت لهم وهى تقبلهم : « ما أسعدنى بأن أراكم يا أولادى الأعزاء ! إنكم متعبون ... إنكم جائعون ... وأنت يا حسن مالى أراك ملوثاً بالطين تعال أنظفك ... » وكان حسن هذا هو الابن البكر ، وكانت تحبه أكثر من إخوته لأنه كان أشقر وكانت هى شقراء .

جلس الأولاد إلى المائدة ، وأكلوا هنيئاً وقصّوا بصوت واحد على والديهم ، ما شعروا به فى الغابة من خوف وفزع ، ففرح الأبوان بلقاء أولادهما ، ودام فرحهما ما دامت الريالات العشرة ، فلما نفد المال عاودهما الحزن فصمما على تضييعهم ، وعزما على أخذهم إلى غابة أبعد من الأولى حتى لا يخيب التدبير . لم يخف كلامهما عن « عقلة الإصبع » مع كل ما بذلاه من حيطة وحذر ، وفكر فى الخروج من هذا المأزق كما فعل فى المرة السابقة ، فنهض مبكراً جداً ليذهب إلى النهر ، ويجمع عدداً من الحصى ولكنه خاب فى مسعاه ، فقد وجد باب البيت مقفلا فتحير فى أمره ، غير أنه لما وزعت الأم على كل من أولادها كسرة خبز يفطر بها ، خطر بباله أن يستعمل الخبز بدل الحصى ، وأن يفتته قطعاً صغيرة ويلقيها فى الطرق التى يجتازونها ، فأخفى كسرة الخبز فى جيبه .

ذهب الأبوان بالأولاد إلى غابة كثيفة مظلمة ، وما مرّ على وصولهم

إليها لحظات ، حتى تواريا عنهم ، فلم يحزن « عقلة الإصبع » كثيراً ، فقد كان يظن أن سيسهل عليه معرفة الطريق ، بفتات الخبز الذى ألقاه فيه ، ولكن ما كان أشد دهشته لما لم يجد فتيتة واحدة ، لأن العصافير كانت قد أكلتها كلها .

استولى على الأولاد حزن عميق ، فكانوا كلما توغلوا فى الغابة ، ازدادوا تيهاً وضلالا ، حتى أقبل الليل ، وهبت ريح شديدة ملأتهم رعباً ، وخيل إليهم أنهم لا يسمعون إلا عواء الذئاب ، وهى مقبلة نحوهم لتأكلهم ، فكادوا لا يجسرون على الكلام ، ولا على الالتفاف حواليهم ، ثم هطل مطر شديد نفذ منهم إلى العظم ، فكانوا إذا مشوا تزحلقوا ، ووقعوا فى الطين ، ونهضوا منه ملوثى الأيدى والثياب .

فصعد « عقلة الإصبع » إلى قمة شجرة ، لعله يكشف شيئاً ، وأدار رأسه فى جميع الجهات ، فلمح من بعيد جدًّا بصيص نور ، كأنه ضوء شمعة ، فلما نزل من الشجرة غاب الضوء عنه ، فارتبك وتحير ، على أنه ما مشى هو وإخوته قليلا من ناحية الضوء ، حتى رآه ثانية عند الخروج من الغابة .

فمشوا إليه ، وكثيراً ما غاب الضوء عن أبصارهم ، كلما نزلوا فى بعض المنحدرات ، وبعد عذاب وخوف ، وصلوا إلى المنزل الذى تضىء فيه هذه الشمعة ، فطرقوا الباب ففتحته لهم امرأة سألتهم ماذا يريدون ؟ فقال



لها « عقلة الإصبع » : إنهم تاهوا فى الغابة ، وإنهم يرجون من عطفها أن تسمح لهم بالمبيت عندها ، فلما رأت المرأة جمالهم وظرفهم ، بكت وقالت لهم : « واحسرتاه عليكم يا أبنائى المساكين إلى أين جئتم ؟ ! أتعرفون أن هذا المنزل بيت غول يأكل الأطفال الصغار ؟» . فقال لها «عقلة الإصبع» وهو يرتجف وإخوته :

— « وماذا نصنع يا سيدتى ؟ إن ذئاب الغابة ستأكلنا حتماً هذه الليلة إن لم تؤوينا عندك ، وعلى ذلك نفضل أن يأكلنا الغول ، فلعله يرأف بنا إذا توسلت إليه » .

فكرت زوجة الغول فى أنها قد تستطيع أن تخفيهم عن عين زوجها حتى الصباح ، فأدخلتهم وقادتهم إلى نار مشتعلة ليتدفؤوا ، وكان على النار سَفّود يُشْوَى عليه خروف صحيح لعشاء الغول .

دب الدفء إلى أجسامهم ، ثم سمعوا طرقاً على الباب ، فخبأتهم المرأة تحت السرير ، وذهبت تفتح الباب فكان الغول ، فسألها هل جهزت العشاء ؟ وهل أحضرت له الخمر ؟ وجلس إلى المائدة وكان الخروف لا يزال يقطر منه الدم فطاب له ، وبعد حين أخذ يلتفت يميناً وشمالا ويقول : « أشم رائحة لحم طرىّ » . فقالت له زوجته :

- « لا شك أنها رائحة العجل الذى ألبسته الثياب منذ هنيهة » .

فصاح بها وهو ينظر إليها بمؤخرة عينه :

— « أقول لك إنى أشم رائحة لحم طرىّ . . . تجرى هنا أشياء لا أعرفها ! » .

قال هذا ونهض من المائدة ، وذهب توًّا إلى السرير ثم قال :

— « آه ! تريدين أن تخدعينى يا ملعونة ! لست أدرى ما الذى يمنعنى أن آكلك أنت أيضاً أيتها البغلة العجوز . . . إنهم فريسة جاءتنى فى الوقت المناسب ، لأقدمها إلى ثلاثة أغوال أصحابى سيزورونى فى هذه الأيام » .

أخرجهم من تحت السرير واحداً واحداً ، فركعوا أمامه يطلبون منه الصفح ، ولكنهم كانوا أمام غول غليظ الكبد لا يعرف الرحمة ، فبدأ يلتهمهم بعينيه ويقول لزوجته : « سيكونون طعاماً شهيًّا إذا صنعت لهم مرقة لذيذة » .

ثم اقترب من هؤلاء المساكين ، وفى يمناه سكين كبيرة يسنّها على حجر طويل ، كان ممسكاً به فى يده اليسرى ، فقبض على واحد منهم فقالت له امرأته :

— « ماذا تريد أن تصنع فى هذه الساعة ؟ أليس لديك متسع من الوقت غداً ؟ » .

فقال لها :

— « اخرسى ! إذا ذبحتهم الليلة وجدتهم غداً أطرى لحماً » .

فقالت :

— « ولكن لا يزال عندك كثير من اللحم : عجل وخروفان ونصف خنزير » .

فقال لها الغول :

— « الحق معك ! عشّيهم جيداً، حتى لا يخسّوا ثم خذيهم إلى السرير ليناموا » .

فرحت المرأة الطيبة فرحاً جزيلا ، وأعدت لهم عشاء فاخراً ، ولكن لم يذوقوا منه شيئاً لشدة الرعب المستولى عليهم ، أما الغول فعاد إلى الشراب مسروراً من الوليمة التى سيولمها لأصحابه ، وشرب اثنتى عشرة كأساً زيادة على شرابه المعتاد ، فثقل رأسه ومضى لينام .

وكان للغول سبع بنات صغيرات ، وكن جميلات البشرة لأنهن كأبيهم يأكلن اللحم الطرى ، وكانت عيونهن صغيرة مستديرة رمادية اللون ، وأنوفهن معقوفة ، وأفواههن واسعة تنفرج عن أسنان حادة متباعدة ، ولم يكنّ بعدُ على جانب كبير من التوحش والأذى ، ولكن كانت تعلق عليهن الآمال الواسعة فى ذلك ، فقد كان يحلو لهن عضّ الأطفال الصغار وامتصاص دمائهم .

وكنّ فى ذلك اليوم قد أوين إلى فراشهم فى ساعة مبكرة ، فنمن كلهن فى سرير واحد عريض ، وعلى رأس كل واحدة منهن إكليل من الذهب ، وكان فى الغرفة نفسها سرير آخر فى حجم الأول ، وإلى هذا السرير

قادت المرأة الأطفال السبعة ليناموا ، ثم ذهبت هي لتنام مع زوجها .

لاحظ « عقلة الإصبع » أن بنات الغول على رؤوسهن أكاليل من الذهب . وخاف أن يندم الغول على أنه لم يذبحه وإخوته في المساء نفسه ، فنهض في نحو منتصف الليل . وأخذ طرطوره وطراطير إخوته . ووضعها على رؤوس بنات الغول . بعد أن رفع عنها أكاليل الذهب . وحطها على رأسه ورؤوس إخوته ، ليظنهم الغول بناته . وليظن أن بناته هن الأطفال الذين يريد أن يذبحهم . وحدث ما توقعه « عقلة الإصبع » . فقد صحا الغول في منتصف الليل . وأسف على أنه أجل إلى غد . ما كان يستطيع أن يفعله في المساء . فقفز من السرير في عنف . وأخذ سكينه الكبيرة وقال : « هيا بنا إلى أطفالنا السخفاء . ولننقض عليهم دفعة واحدة » .

ثم تلمس طريقه إلى غرفة بناته . واقترب من السرير الذي كان فيه الأطفال الصغار نائمين ما عدا « عقلة الإصبع » . ولا تسل عن رعب « عقلة الإصبع » لما شعر بالغول يتحسس أمرهم ويمر بيده على رأسه ورؤوس إخوته . .

لمس الغول أكاليل الذهب فقال : « يا للعجب . كنت سأرتكب خطأ فظيعاً . يظهر أني أكثرت من الشراب مساء أمس » .. فذهب إلى سرير بناته ، ولما لمس طراطير الأطفال قال : « ها ! ها ! إنهم أبطالنا الصغار ! فلنقدم على العمل » .

قال هذا وذبح بناته السبع ، دون تردد ولا توقف ، وعاد لينام ثانية قرب زوجته مسروراً من فعلته .

وما كاد « عقلة الإصبع » يسمع شخير الغول ، حتى أيقظ إخوته ، وطلب منهم أن يلبسوا ثيابهم بسرعة ويتبعوه ، فنزلوا إلى البستان فى يقظة وحذر ، ونطوا من فوق السور ، وظلوا يركضون الليل كله وهم يرتجفون ولا يدرون إلى أين يذهبون .

واستيقظ الغول فقال لزوجته : « اصعدى إلى هؤلاء الأطفال وألبسيهم » . فتعجبت المرأة من كرم أخلاق زوجها ، ولم تدر أى ملابس قصد زوجها أن تلبسهم ، فصعدت إلى الغرفة ويا لهول ما رأت . رأت بناتها السبع ، مذبوحات يسبحن فى بركة من الدماء . أغمى عليها (وهذا ما يحدث لكل امرأة فى مثل هذه الأحوال) ثم خشى الغول أن تصرف زوجته وقتاً طويلا فى القيام بما أمرها به ، فأقبل عليها ليساعدها ، فما كانت دهشته أقل من دهشة امرأته ، أمام هذا المنظر الفظيع فصاح : « ويلى . ماذا فعلت ؟ ! سيدفع هؤلاء الأشقياء الثمن وفى الحال ! » .

أخذ إبريق الماء وأفرغه فى أنف زوجته ، فعاد رشدها إليها وقال لها : « أعطينى حالا حذاء السبعة الفراسخ حتى أتمكن من القبض عليهم » . ثم بدأ حملته فجرى فى كل جهة حتى سلك الطريق الذى يمشى فيه هؤلاء الأطفال المساكين ، ولم يكونوا إلا على بعد مئة خطوة من منزل أبيهم ،

فرأوا الغول يقفز من جبل إلى جبل ، ويجتاز الأنهار كما لو كان يجتاز جدولا صغيراً، فلمح « عقلة الإصبع » أن بالقرب منهم صخرة مجوفة، فخبأ إخوته فيها ودخلها وراءهم، وهو ينظر إلى الغول ويراقبه ، وكان الغول قد تعب من الطرق الطويلة التى قطعها بلا فائدة ، (لأن حذاء السبعة الفراسخ يتعب لابسه جدًّا) فأراد أن يستريح ، واتفق له أن جلس على الصخرة التى كان هؤلاء الأطفال الصغار مختبئين فيها . ولما كان تعباً مرهقاً ، فقد نام بعد أن استراح قليلا ، وبدأ يشخر شخيراً فظيعاً ، لم يكن خوف الأولاد منه ، بأقلّ من خوفهم من الغول عند ما أمسك سكينه وهمّ بذبحهم؛ وكان « عقلة الإصبع » أقلهم رعباً فقال لإخوته : « إن الغول نائم نوماً عميقاً ، فاهربوا فى الحال إلى المنزل ، ولا تهتمّوا بشأنى » . فسمعوا كلامه وتوجهوا إلى البيت .

أما « عقلة الإصبع » فاقترب من الغول ، ونزع بخفة ورشاقة حذاء الغول من رجليه ولبسه ، وكان الحذاء كبيراً واسعاً، ولكنه كان جنية من الجنيات : يقدر أن يتسع أو يضيق بحسب رجل لابسه ، فاستراح فيه « عقلة الإصبع » كأن الحذاء قد فصّل على قدّ رجليه .

ذهب « عقلة الإصبع » توًّا إلى منزل الغول، فلقى زوجته تبكى قرب بناتها المذبوحات فقال لها : « إن زوجك فى خطر عظيم ، فقد وقع فى قبضة جماعة من اللصوص ، حلفوا إلا أن يقتلوه ، إذا لم يعطهم كل ما

عنده من ذهب وفضة ، وفى اللحظة التى همّوا فيها بذبحه ، لحنى ورجا منى أن أخبرك بحاله ، وأن تعطينى كل ما يملك دون أن تحجزى منه شيئاً ، وإلا فسوف يقتلونه بلا رحمة ولا شفقة . ولما كان الأمر يتطلب الإسراع ، فقد خلع من رجليه حذاء السبعة الفراسخ وألبسنى إياه ، وها هو ذا فى رجلى ، لأعجل فى المجىء إليك ، ولكيلا تظنى أنى نصاب محتال » .

جزعت المرأة على زوجها ، فأعطته كل ما كان لديها ، لأن الغول ، والحق يقال ، كان يعاملها معاملة حسنة ، ولو أنه كان يأكل الأطفال الصغار . فاستولى « عقلة الإصبع » على ثروة الغول وعاد بها إلى بيت أبيه ، فاستقبلته الأسرة استقبالا رائعاً .

وهناك أناس كثيرون لا يقرّون هذا الختام . ويزعمون أن « عقلة الإصبع » لم يعمد إلى سرقة الغول ، وأنه لم يسلبه إلا حذاء السبعة الفراسخ الذى كان يستعمله فى الجرى وراء الأطفال الصغار ، ويؤكد هؤلاء الناس عن ثقة ، وعن ترددهم على بيت الحطاب يأكلون فيه ويشربون ، أن « عقلة الإصبع » لما لبس حذاء الغول ، كان يعرف أن على بعد مئة فرسخ جيشاً محارباً . وأن الملك ورجاله يتلهفون على معرفة أخبار المعركة التى خاضها الجيش ، فذهب إلى الملك وقال له : إنه يستطيع ، إذا شاء ، أن يأتيه بأخبار الجيش قبل أن تغيب الشمس ، فوعده الملك بمبلغ كبير من المال إذا هو استطاع أن يفعل ذلك ، فقام «عقلة الإصبع» بالأمر خير قيام ، فذاع صيته

وتدفق عليه المال : من الملك ، وكان ينقل أوامره إلى الجيش ، ومن النساء ، وكان يحمل رسائلهن إلى أزواجهن وإخوتهن وأبنائهن فى ساحة القتال .

وبعد أن اشتغل « عقلة الإصبع » مدة من الزمن ساعى بريد ، وكسب مالا كثيراً ، عاد إلى أبيه ففرح به أبواه وإخوته فرحاً لا يوصف ، وأجرى هو عليهم الرزق الواسع ، ثم أسس لأبيه وإخوته تجارة رابحة وخص نفسه بمقام رفيع ممتاز .





جلد الحمار

كان مرة ملك عظيم تحبه رعيته ، ويحترمه جميع جيرانه وحلفائه ، فكان بذلك أسعد الملوك ، وزاد فى سعادته أنه كان متزوجاً بأميرة جميلة فاضلة ، وكان هذان الزوجان السعيدان يعيشان معاً على أتم وفاق ، وقد رزقهما الله من هذا الزواج السعيد ، طفلة جمعت من الجمال والظرف ، ما تمنيا معه أن يكون لهما أولاد كثيرون من هذا الطراز .

وكان قصر الملك تسوده العظمة والذوق والخير العميم : فمن وزراء حكماء ماهرين ، إلى حاشية تتحلى بالفضائل والولاء ، إلى خدم أوفياء مجتهدين ، إلى إسطبلات ملأى بأجمل خيول العالم ، مشدود إليها أجمل السروج ،

وكان مما يثير دهشة زوار هذه الإسطبلات ، أن يروا ، فى أبرز مكان منها ، حماراً طويل الأذنين ، ولم يكن الملك مخطئاً فى أن يخص الحمار بهذا المكان الممتاز ، بل كان على حق فى ذلك ، لأن هذا الحمار كان حماراً عجيباً ، نادر المثال جم الفوائد : ينهض كل صباح فإذا تحته بدل التبن والزبل ، مجموعة ثمينة وافية من الدراهم والدنانير .

ولما كان الزمن يتقلب على الملوك والأتباع على السواء ، وكان الخير يعقبه دائماً بعض الشر ، فقد سمحت السماء أن تمرض الملكة مرضاً عضالا لم ينجح فيه الأطباء ، فاستحوذ اليأس على النفوس واستسلم الملك للحزن العميق وأظهر أن المثل الذى يقول : « إن الزواج مقبرة الحب » هو مثل غير صحيح ، فقد دفعته رقة قلبه وشدة حبه الملكة ، إلى أن ينذر لله النذور ، ويقدم حياته فدى زوجته العزيزة ، ولكن ذهب توسله سدى ، ولما شعرت الملكة بدنو أجلها قالت لزوجها وهو يجهش بالبكاء :

— « اسمح لى قبل أن أموت ، أن أطلب منك شيئاً . . . وهو أنه إذا رغبت أن تتزوج ثانية . . . . » .

فقاطعها الملك وهو يبكى وينتحب ، وأمسك بيديها وبللهما بعبراته وقال :

— « تكلمينى عن زواج ثان . . . لا . . . لا يا حبيبتى بل اطلبى منى أن أتبعك » .

فقالت الملكه بحزم زاد حزن الملك :

— « إن الدولة . . . نعم إن الدولة لترجو منك الخلف ، ولما لم ترزق منى إلا بابنة ، فستلحّ عليك الدولة فى أن ترى لك أبناء يشبهونك ، غير أننى أستحلفك بحبك إياى ، ألا تذعن لمشيئة شعبك ، إلا إذا وجدت أميرة أجمل منى وأحسن قواماً ، فاحلف لى على ذلك فأموت قريرة العين » .

ويقال إن الملكة ، وكانت على جانب كبير من عزة النفس والعجب بنفسها ، لم تصرّ على هذا القسم ، إلا وهى واثقة من أن ليس فى العالم امرأة تعدلها جمالا ، فكأنها أخذت عليه العهد ألا يتزوج أبداً ، ثم ماتت وضجّ الملك عليها ، وأصبح شغله الشاغل ، أن يبكى وينتحب ويخصها بأقدس التذكار .

إن الآلام الشديدة لا تدوم ، فضلا عن أن كبراء الدولة قد اجتمعوا وساروا معاً إلى الملك ، يرجون منه أن يتزوج ، فصعب عليه طلبهم وأبكاه ، وتحصن باليمين التى أقسمها للملكة ، وتحدى جميع هؤلاء الكبراء أن يجدوا له أميرة أجمل من زوجته وأحسن قواماً ، وهو يظن أن ذلك مستحيل ، ولكنهم عدوا مثل ذلك القسم باطلا وقالوا : ليس المهم فى الزوجة أن تكون جميلة ، بل أن تكون فاضلة غير عاقر ، فالدولة فى حاجة إلى امراء يضمنون لها الأمن والاستقرار ، وولية العهد تتحلى بجميع الصفات التى تجعل منها ملكة عظيمة ، ولكن لا بد أن يختار لها زوج أجنبى ،

فإما أن ترحل مع زوجها ، وإما أن يملك معها ويكون لهما أبناء يجرى فى عروقهم دم غير دمك ، ولربما أغارت علينا الشعوب المجاورة إذا لم تجد فينا أميراً يحمل اسمك ، ويحمى العرش من الضياع ، فاعتبر الملك بكلامهم ، ووعدهم بالتفكير فى مرضاتهم .

وبدأ الملك يبحث عن زوجة تليق به بين الأميرات الصالحات للزواج ، فعرضت عليه صور كثيرات منهن ، ولكنه لم يجد فيهن من يحكى جمالها جمال زوجته الفقيدة ، فتردد وامتنع ، ومن الأسف أن هذا الملك بدت له ابنته جميلة رشيقة القوام ، بل بدت له أنها تفوق أمها فى الذكاء والظرف ، وكان لشبابها النضير وإشراقها ، أثر ألهب قلب الملك فلم يكتم عنها عشقه إياها ، ولا عزمه على الزواج بها ، ما دامت هى وحدها من تستطيع أن تعفيه من يمينه .

سمعت الأميرة هذا الكلام ، وكانت على جانب كبير من الفضيلة والحياء ، فكاد يغمى عليها فارتمت عند قدمى أبيها الملك ، واستحلفته بكل ما أوتيت من قوة ألا يضطرها إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة .

وكان هذا الأمر الغريب قد شغل ذهن الملك ، فشاء أن يريح ضمير الأميرة ، فاستشار منجماً عجوزاً ، فضرب هذا المنجم بالديانة عرض الحائط ، وسول له الجشع والطمع فى منصب مستشار الملك وأمين سره ، أن يضحى بالفضيلة والحياء ، فحظى فى خبث ولباقة عند الملك ، واطّف

له من هول الجريمة، بل ذهب إلى إقناعه بأن زواجه بابنته عمل صالح ، فاغتبط الملك بكلام هذا المجرم حتى إنه قبله ، وانصرف عنه أكثر عناداً وتصميماً على تنفيذ رغبته ، وأصدر الأمر إلى ابنته بالطاعة والامتثال .

واستولى على الفتاة ألم شديد، فلم ترخيراً من الذهاب إلى لقاء عرّابتها جنية الزهر ، فسارت إليها تلك الليلة فى عربة جميلة ، يجرّها خروف كبير يعرف كل الطرق والدروب، وكانت هذه الجنية تحب الفتاة ، فقالت لها إنها تعرف كل ماجاءت تخبرها به ، ثم طيّبت خاطرها ، وأكدت لها أن لن تنال بسوء إذا هى نفذت ما تشير به عليها وقالت :

— « لا شك يا ابنتى أنك ترتكبين خطأ فاحشاً فى زواجك بأبيك ، ولكنك تستطعين تفادى هذا الأمر دون إغضابه ، قولى له إن فى نفسك هوى تريدين تحقيقه ، وهو أن يأتيك بثوب لونه لون الزمن ، فلن يستطيع مع حبه وسلطانه تحقيق هذا المطلب ». فشكرتها الأميرة ، وفى صباح اليوم الثانى طلبت من أبيها الملك ما أشارت الجنية به عليها ، وقالت : لن يظفر أحد منى بجواب ما لم أحصل على ثوب لونه لون الزمن . فانتعش الملك بالأمل الذى لوحت له به، ودعا أمهر الصناع ، وطلب منهم هذا الثوب ، وهددهم بالشنق جميعاً إذا أخفقوا فى صنعه ، ولكنه لم يضطر إلى تنفيذ وعيده ، لأنهم أتوه فى اليوم الثانى بالثوب المطلوب . فلو أن السماء وشّحت زرقتها البديعة بسحاب من الذهب ، ما بدت أجمل من هذا

الثوب ، فاستاءت الفتاة ولم تعرف كيف تخلص من هذا المأزق ، وأبوها يلحّ في سماع كلمة الرضى تخرج من فمها ، فعادت إلى الجنية ودهشت هذه من بطلان سحرها فقالت لها : « اطلبي ثوباً يكون لونه لون القمر » فلم يرفض الملك طلبها ، ودعا الصناع الماهرين وأوصاهم بصنع ثوب لونه لون القمر ، وحتّم أن يأتوه به في أربع وعشرين ساعة .

...

أعجبت ولية العهد بهذا الثوب الجميل إعجابها بتهالك أبيها على إرضائها ولكنها عند ما خلت بمربيتها ، بدا عليها الحزن العميق ، فسارعت الجنية إلى معونتها وقد عرفت كل شيء فقالت : « إما أن أكون مخطئة ، وإما أن يكون ظني في محله ، وهو أنك إذا طلبت ثوباً من لون الشمس توصلنا إلى مضايقة أبيك الملك واشمئزازه ، لأنه يستحيل صنع ثوب كهذا ، وإما أن نكسب على الأقل بعض الوقت ». فوافقتها الفتاة وطلبت الثوب ، فلم يتأخر الملك العاشق عن أن يقدم غير آسف ، كل جواهر تاجه من الماس وياقوت ، ليساعد على صنع هذا الثوب العجيب ، وعن أن يطلب إلى الصناع ألا يتركوا شيئاً يساوى هذا الثوب بالشمس إلا فعلوه .

ولما جيء بالثوب وعرض على الأنظار ، اضطر كل من رآه أن يقفل عينيه من البهر ، ومن هذا الوقت شاع استعمال النظارات الخضر والسود ، أما الفتاة فقد استولى عليها الحياء أمام هذا المنظر الجميل الدقيق الصنع ، فانسحبت إلى غرفتها بحجة ألم في عينيها ، وكانت الجنية تنتظرها والخجل

يقطر منها ، فلما شاهدت الثوب علت وجهها حمرة الغضب فقالت الفتاة :

— « آه ! الآن سنعرض والدك وحبه البذىء لتجربة قاسية ، فقد زيّن له عناده أن يظن هذا الزواج قريب الوقوع ، ولكنى أعتقد أنه سيطير لبه إذا سمع ما أريد أن تطلبيه ، اطلبى جلد هذا الحمار الذى يحبه حبًّا جمًّا ، والذى يكفيه مؤونة نفقاته ، اذهبى ولا تترددى فى أن تقولى له : أريد جلد هذا الحمار » .

فسرّت الفتاة بأن تجد سبيلا جديداً يجنبها هذا الزواج المشؤوم ، واعتقدت فى الوقت نفسه ، أن أباها لن يقبل أبداً بتضحية حماره ، فذهبت إليه وأعربت له عن رغبتها فى الحصول على جلد هذا الحيوان الجميل ، فلم يتردد الملك فى إجابتها إلى رغبتها ، وإن كان قد دهش من طلبها الغريب ، فضحى بالحمار وجىء بجلده إلى ولية العهد فضاقت بها السبل فى تجنّب مصابها ، وكاد اليأس يستولى عليها وإذا بالجنية تسارع إليها وتقول لها ، وقد رأتها تنتف شعرها وتخدش خديها الجميلتين :

— « ماذا تصنعين يا ابنتى ؟ إن هذا اليوم هو أسعد أيام حياتك . تلفحى بهذا الجلد ، واخرجى من هذا القصر ، واضربى فى عرض الأرض ، فالتضحية فى سبيل الفضيلة هى الجزاء الأوفى . اذهبى وسأعنى بأن تلحقك زينتك حيثما كنت ، فالصندوق الذى فيه ثيابك وجواهرك سيتبع خطاك تحت الأرض ، خذى عصاى السحرية ، واضربى بها الأرض إذا

احتجت إلى هذا الصندوق، فسوف ترينه أمامك ، أسرعى ولا تتأخرى» .

فانهالت الفتاة على الجنية تقبلها وتطلب منها ألا تنساها ، ثم تنكرت بهذا الجلد الشنيع ، وتلطخت بالهباب ، وخرجت من هذا القصر الفخم ولم يعرفها أحد .

أحدث غياب ولية العهد ضجة كبيرة ، وتملك اليأس قلب الملك فلم يجد إلى العزاء سبيلا ، وهو الذى كان قد أمر بإعداد وليمة عظيمة ، فأرسل أكثر من مئة شرطىّ وألف جندى من الحرس للبحث عن ابنته ، ولكن الجنية التى كانت تحميها ، جعلتها فى مأمن عن عيون أمهر الباحثين . ولم يبق أمام الملك من سبيل إلا السلوان .

وكانت ولية العهد فى هذه الأثناء ، تمشى وتمشى ، فذهبت إلى مكان بعيد ، ثم إلى مكان بعيد ، ثم إلى مكان أبعد تلتمس ملجأ تأوى إليه ؛ ولكن الذين كانوا يطعمونها كرماً وإحساناً كانوا يأنفون من قذارتها ، فلا يرضون أن يوفروا لها المأوى ، فظلت تمشى حتى وصلت إلى مدينة جميلة ، ومرت قبل الوصول إليها بمزرعة كانت مستأجرتها فى حاجة إلى خادمة تغسل الثياب ، وتنظف الديكة الرومية وتعلف الخنازير ، فلما رأت المرأة قذارة الفتاة ، عرضت عليها أن تشتغل عندها ، فقبلت الفتاة عن طيب خاطر بعد أن أنهك قواها المشى الطويل ، وخصصت المرأة بها ركناً من أركان المطبخ البعيدة فأوت إليه ، وتحملت فى الأيام الأولى المزاح

الثقيل من الخدم ، فقد كانوا يرونها فى جلد الحمار قذرة كريهة ، ولكنهم بعد ذلك تعودوا النظر إليها ، وأصبحت مستأجرة المزرعة تدافع عنها وتحميها ، لما رأتها تقوم بعملها على الوجه الأكمل : فكانت ترعى الخرفان ، وتعنى بإدخالها فى حظائرها فى الوقت المناسب ، وتقود الديكة إلى المراعى بهمة ومهارة ، كما لو كانت هذه صناعتها طول عمرها ، فازدهر كل شىء وأثمر من تحت يديها .

وجلست يوماً إلى جانب نبع صاف تندب حظها ، فخطر لها أن تنظر إلى وجهها فى صفحة الماء ، فهالها جلد الحمار الذى تلبسه ، وخجلت من نفسها ، فنظفت وجهها ويديها ، وعادت أكثر بياضاً من العاج ، وعاودها إشراقها ولونها الطبيعى الوضاح ، ففرحت بجمالها واشتهت أن تستحم فاستحمت ، ولكن كان لا بد لها أن تلبس جلد الحمار لتعود إلى المزرعة ، ومن حسن الحظ أن اليوم الثانى كان عيداً من الأعياد ، فكان لها متسع من الوقت لكى تستجلب صندوقها ، وتزين شعرها ، وتلبس الثوب الجميل الذى يشبه لونه لون الزمن ، وكانت غرفتها ضيقة جداً لا تسمح لها أن تجرر ذيل الثوب ، فنظرت إلى المرآة فأعجبتها نفسها ، وصممت أن تسرّى الهم عنها ، وأن تلبس فى أيام الأعياد والآحاد ثيابها الجميلة واحداً بعد واحد عند ما تنفرد فى غرفتها ففعلت ، وكان لها فن عجيب فى الجمع بين الزهر والجواهر فى شعرها ، وكثيراً ما تنهدت وتفقدت من يشهد هذا

الجمال ، فلم تجد إلا الخرفان والديكة ، وكانت هذه تحب جلد الحمار ، وجلد الحمار هو الآن الاسم الذى أطلق على الفتاة .

وفى عيد من الأعياد لبست « جلد الحمار » ثوبها الملون بلون الشمس ، وكان ابن الملك صاحب تلك المزرعة ، عائداً من الصيد ، فنزل بالمزرعة ليستريح ، وكان هذا الشاب الأمير شاباً جميلا رشيق القد ، يحبه أبواه حباً جماً ، وتعبده الرعية ، فأكل ما تيسر من الطعام مسروراً ، ثم أخذ يجول فى أطراف المزرعة ، ويزور حظائر المواشى ، حتى وصل إلى ممشى مظلم رأى فى نهايته باباً مقفلا ، فدفعه الفضول إلى أن يضع عينه على ثقب القفل ، ولا تسل عن دهشته لما رأى تلك الأميرة الجميلة فى ثيابها الفاخرة ، وحركاتها الوديعة النبيلة ، فظنها ملاكاً من الملائكة ، ولولا الاحترام الذى بسطته عليه هذه الأميرة ، لاقتحم الباب ودخل .

خرج مكرهاً من ذلك الممشى المظلم ، واستعلم عن ساكن هذه الغرفة الصغيرة ، فقيل له هى خادمة يطلق عليها اسم جلد الحمار ، لأنها ترتدى بجلد حمار ، وهى من القذارة بحيث لا ينظر إليها ولا يكلمها أحد ، وقد دفعت الشفقة بها مستأجرة المزرعة ، إلى أن تعهد إليها فى حراسة الخرفان والديوك .

وعرف الأمير الذى لم يقنع بهذه الأجوبة ، أن هؤلاء الناس الغلاظ لا يعلمون من أمر الفتاة أكثر مما قالوا ، وأنه من العبث سؤالهم ، فعاد إلى قصر أبيه عاشقاً مغرماً ، تتمثل لعينيه فى كل لحظة ، تلك الصورة

الساحرة التى رآها من ثقب القفل ، فندم على أنه لم يقتحم الباب ، وصمم على ألا يفوته ذلك مرة أخرى ، غير أن اضطرابه ، وفوران الدم والعاطفة فيه ، طرحاه فى مساء ذلك اليوم صريع الحمى ، وازدادت حاله على الأيام سوءاً ، فخافت الملكة على وحيدها ، ورأت أن جميع الأدوية التى تناولها لم تأت بفائدة ، فدب اليأس إلى قلبها ، وأخذت تعد الأطباء بأسنى الهدايا والمنح ، إذا هم أفرغوا فى علاجه خلاصة علمهم وفنهم ولكن ذهبت مساعيهم أدراج الرياح .

وفى آخر الأمر ، فطنوا إلى أن داء الأمير هو غم قاتل ، فأخبروا به الملكة فجاءت فى حنان وشفقة تستحلف ابنها أن يقول لها سبب دائه : فإن كان النزول له عن العرش ، بنزل له أبوه عنه راضياً مختاراً ، أو كان رغبته فى الزواج ببعض الأميرات ، ركبت هى كل تضحية إلى ما يبتغى ، ولو حالت دون ذلك عراقيل وجيهة أو حرب قائمة مع أبيه ، ثم طلبت إليه أن يرأف بنفسه فحياتهما معلقة بحياته .

ولم تنته الملكة من خطابها المؤثر ، حتى كانت قد بللت وجه الأمير بسيل من الدموع ، فقال لها الأمير بصوت خافت :

— « لست يا سيدتى من العقوق بحيث أشتهى تاج أبى ، أطال الله عمره ، وجعلنى من أخلص رعاياه . أما الأميرات اللاتى تعرضينهن على ، فما فكرت بعد فى الزواج ، ولا أظنك يا أمى تشكين فى أنى سأكون دائماً

رهن إشارتكما مهما كلفنى الأمر » .

فقالت الملكة :

— « آه يا ولدى ! لن نغلى شيئاً فى سبيل إنقاذ حياتك ، فناشدتك الله يا ولدى إلا أنقذت حياتى وحياة أبيك ، وصرحت لى بما تكتم ، وثق أنك ستظفر به » .

فقال :

— « إن كان لا بد أن أفضى بما فى قلبى ، فإنى طوع أمرك ، وإلا كنت مجرماً إذا أنا عرضت للخطر حياتين عزيزتين علىّ ، أجل يا أمى ، أريد أن تصنع لى جلد الحمار فطيرة يأتوننى بها حالما تفرغ منها » .

فدهشت الملكة من هذا الآسم الغريب ، وسألت من تكون جلد الحمار هذه ؟ فأجابها أحد الضباط ، وكان قد رأى هذه الفتاة عرضاً :

— « إنها يا سيدتى أشنع وحش بعد الذئب . هى فتاة سوداء قذرة تقطن مزرعتكم وتحرس الديوك » .

فقالت الملكة :

— « لا بأس ، فقد يكون ابنى قد أكل من فطائرها وهو عائد من الصيد . . . إنها شهوة مريض ، وعلى كل فإنى أريد أن تقوم جلد الحمار (مادام هناك من تسمى جلد الحمار) بصنع فطيرة فى الحال » .

وجرى الضابط إلى المزرعة ، ودعا جلد الحمار ، وأمرها أن تصنع

للأمير فطيرة تبذل فيها كل مهارتها .

ويؤكد بعض المؤلفين ، أن جلد الحمار قد وقعت عيناها على عيني الأمير عند ما نظر إليها من ثقب القفل ، وأنها نظرت إليه بعد ذلك من نافذتها الصغيرة ، فرأته أميراً شاباً جميلا ، ممشوق القامة ، فعلق شخصه بذاكرتها ، وكلفها ذلك التذكار بعض التنهدات ، وكيفما كان الأمر فإن جلد الحمار ، بعد أن رأت الأمير أو سمعت عنه الثناء المستطاب ، سرها أن تجد وسيلة تتعرف بها إليه ، فخلت إلى غرفتها ، ونزعت عنها ثوبها الكريه ، ونظفت وجهها ويديها ، وسرحت شعرها الأشقر ، ولبست مشداً من الفضة البراقة ، وارتدت فوقه ثوباً من الفضة الخالصة ، وشرعت تصنع الفطيرة المطلوبة ؛ واستعملت فيها دقيقاً نقياً ، وبيضاً وزبدة من نتاج الصباح ، وبينما كانت تصنع الفطيرة ، وقع من أصبعها ، عمداً أو سهواً خاتم كانت تلبسه ، فاختلط بالعجين ، وعند ما تم خبز الفطيرة ، ارتدت بثوبها الشنيع ، وسلمتها إلى الضابط وسألته عن صحة الأمير ، فلم يتفضل بالرد عليها ، بل جرى إلى الأمير يحمل إليه الفطيرة .

خطف الأمير الفطيرة من يد الضابط ، وأكلها بمتعة ونهم ، وكاد يختنق من الخاتم الذى وقف فى حلقه وهو يأكل فجزع الأطباء وأشفقوا عليه ، ولكن الأمير تمكن من إخراج الخاتم من فمه ، وخفف نهمه فى ازدراد الفطيرة ، ولما رأى تلك الزمردة مركبة على خاتم من ذهب صغير

الاستدارة ، حكم أنه لا بد أن يكون لأجمل إصبع فى العالم .

فقبّل هذا الخاتم ألف مرة ، ووضعه تحت وسادته ، وصار يخرجه لينظر إليه كلما ظن أن لا أحد يراه ، ولشدّ ما تعب فى تخيل صاحبة الخاتم ، ولم يجرؤ على الظن أنهم يجيبونه إلى طلبه ، إذا هو طلب أن يرى جلد الحمار صانعة الفطيرة ، ولم يجسر كذلك أن يقول ماذا رأى من ثقب القفل ، مخافة أن يسخروا منه ، ويظنوه معتوهاً يجرى وراء الأحلام والأوهام ، فكان كل هذا يعذبه حتى ارتفعت درجة الحمى ارتفاعاً شديداً ، وأسقط فى يد الأطباء فصرحوا للملكة أن الأمير مريض بداء الحب والغرام .

فجرت الملكة إلى ابنها وتبعها الملك يائساً حزيناً فقال :

— « ولدى ! ولدى العزيز ! دلنا على من تحب نزوجك والله بها ولو كانت أحط العبيد » .

وقبلته الملكة وأمّنت على قسم زوجها الملك ، فتأثر الأمير من دموع أبويه وعطفهما ، وهما علة وجوده فى الحياة فقال :

— « يا والدىّ ! لا أظننى راغباً فى مصاهرة تغضبكما » ثم أخرج الخاتم من تحت وسادته وقال : « والدليل على ذلك أنى سأتزوج الفتاة التى يكون هذا الخاتم قياس أصبعها ، أيًّا كانت ، على أن صاحبة هذا الإصبع لا يلوح أنها فتاة غليظة أو قروية .



أخذ الملك والملكة الخاتم ، وفحصاه بدقة وفضول ، ورأيا كما رأى الأمير ، أن هذا الخاتم لا يمكن أن يكون إلا لفتاة من أسرة طيبة ، فقبّل الملك ولده وحثّه على الشفاء وخرج ، وأصدر أمره بأن تدقّ الطبول ، وينفخ فى الأبواق والمزامير فى جميع أنحاء المدينة ، وينادى المنادون بأن فى القصر خاتماً تستطيع كل فتاة أن تقيسه إلى أصبعها ، فمن يصلح لها بضبط وإحكام ، تصبح عروس ولى العهد .

أقبلت الأميرات أولا ، ثم الدوقات فالمركيزات ، وعبثاً حاولن أن يرققن أصابعهن ، فما استطاعت واحدة منهن أن تلبس الخاتم ، واضطر الأمر إلى دعوة العاملات ، فكن على جمالهن عبلات الأصابع . وكان الأمير قد تماثل قليلا من مرضه ، فكان هو نفسه يجرى التجربة ، ثم دعيت الوصائف فلم يفلحن ، حتى إنه لم يبق أحد لم يقس هذا الخاتم ولكن دون جدوى ، فدعا الأمير الطباخات وراعيات الغنم ، ولكن أصابعهن العبلة الحمر القصيرة ، لم تدخل فى الخاتم إلى أبعد من الظفر فقال الأمير :

— « هل دُعيَتْ جلد الحمار التى صنعت الفطيرة منذ أيام ؟ » .

فضحك كل من سمعه وقال : «لا ! لأنها وسخة قذرة» ، فقال الملك :

— « أحضروها فى الحال حتى لا يقال إنى استثنيت أحداً .» فذهب الحرس ضاحكين ساخرين ليأتوا براعية الديوك . وكانت الفتاة تحب الأمير فلما سمعت دق الطبول وأصوات المنادين ، عرفت أن خاتمها هو الذى أحدث هذه الضجة . ولما كان الحب الحقيقى يخفيه الحياء ولا يعلنه

الزهو ، فقد كانت فى خوف مستمر من أن يكون هناك فتاة نحيلة الإصبع مثلها ، ولكن هذا الخوف حلّ محله فرح عظيم عند ما قرع عليها الباب ، وطلبت إلى القصر .

ومنذ أن عرفت أن البحث جار عن فتاة تستطيع لبس خاتمها ، دفعها الأمل ، والله يعلم أى أمل ، إلى أن تعتنى بتسريح شعرها ، ولبس مشدّها الفضى ، وارتداء ثوبها المطرز بخيوط الفضة ، والمرصع بالزمرد ، وما كادت تسمع دق الباب ودعوتها إلى لقاء الأمير ، حتى لبست فى الحال جلد الحمار ، وفتحت الباب فقال لها الحرس هازئين : « إن الملك يدعوها ليزفّها إلى ابنه » . ثم قادوها إلى الأمير ، وهم يقهقهون من الضحك ، فدهش هذا من زيها ، وشك فى أن تكون هى تلك الفتاة الجميلة العظيمة التى كان قد رآها ، فحزن وخجل من خطئه الفاحش وقال لها :

— « أأنت التى تسكنين فى نهاية الممشى المظلم إلى جانب الحظيرة الثانية من المزرعة ؟ » .

فقالت :

— « نعم يا سيدى » .

فقال لها وهو يضطرب ويتنهد :

— « أرينى كفك » .

يا لله ! أتعرف أيها القارئ من كان أكثر الناس دهشة ؟ لقد كان

الملك والملكة وكل رجال القصر ، فإنهم استولى عليهم الدهش لما امتدت من تحت الجلد الأسود القذر ، كف صغيرة ناعمة ، بيضاء وردية اللون، ولبست الخاتم بلا مشقة فى أجمل إصبع فى العالم وأصغره ، ثم أتت الفتاة بحركة ، فسقط الجلد وبدت فى جمالها الساحر ، حتى إن الأمير ، وكان لا يزال ضعيفاً ، ركع أمامها فاحمرت خجلا ، وأقبل عليها الملك والملكة يوسعانها قبلا ، ويسألانها هل ترضى بابنهما زوجاً لها ؟ وكادت الأميرة تشكرهما وهى خجلة من عطفهما الشديد عليها ، ومن الحب الذى يبديه لها هذا الأمير الشاب الجميل ، لولا أن شق السقف ، ونزلت منه جنية الزهر فى مركبة مصنوعة من ورق الشجر والأزهار ، وقصت، برشاقة ولباقة ، حكاية ولية العهد . فسرّ الملك والملكة أن يعلما أن جلد الحمار أميرة عظيمة ، فضاعفا عطفهما عليها ، وأثر فى الأمير فضيلة الأميرة فزادته معرفته إياها حبًّا على حب .

وكان الأمير شديد الرغبة إلى التعجيل فى الزواج بالأميرة ، حتى إنه كاد لا يعطى الزمن الكافى ، للقيام بالاستعداد اللائق بهذا الزواج السعيد . أما الملك والملكة ، فكانا مغرمين بعروس ابنهما ، يعانقانها ويغمرانها بالعطف والحنان ، ولما عرفا منها أنها لا تستطيع الزواج بالأمير دون موافقة أبيها ورضاه ، كان أبوها أول من أرسلا إليه الدعوة لشهود هذا الزواج ، دون أن يقولا له من تكون العروس ، وذلك تجنباً للعواقب ونزولا

عند رغبة جنية الزهر الساهرة على كل شيء .

لبى الدعوة ملوك من جميع البلاد : بعضهم جاء محمولا على محفة ، وبعضهم أقبل فى مركبة ، والبعيد منهم جاء راكباً فيلا أو على جناحى نسر ، وكان أعظم المواكب موكب أبى الفتاة ، فإنه كان من حسن الحظ قد نسى حبه الشاذ ، وتزوج بملكة جميلة أرملة ، فلم يرزق منها أولاداً ، فهرعت ابنته إليه فعرفها فى الحال ، وقبلها بحنان لا يوصف قبل أن يمكنها من الركوع والارتماء عند قدميه ، فقدم الملك والملكة ابنهما إليه ، فحياه أحسن تحية ، ثم أقيم العرس على أعظم ما يمكن أن يتخيله الذهن من الأبهة والجلال ، ولكن العروسين لم يحفلا بكل تلك العظمة ، فكانا لا يريان ولا يشاهدان إلا نفسيهما .

وفى اليوم نفسه توّج الملك ابنه ، وقبل يده ، وأجلسه على عرشه ، ولم يلتفت إلى مقاومة هذا الابن المهذب الذى لم يجد بداً من طاعة والده ، واستمرت أعياد هذا الزواج العظيم نحواً من ثلاثة أشهر . فلو أن الزوجين عاشا إلى اليوم ، لاستمرا حبيبين فقد كان كل منهما مغرماً بالآخر غراماً شديداً ، ولكنهما ماتا بعد مئة سنة من زواجهما .



فهرس

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٧٦١٤	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3443 - 5	ISBN

١ / ٩١ / ٢٥٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مجموعة أولادنا

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام.

ظهر منها :